جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة
مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة
تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالـــبين:
-العتري نور الدين -حاج عمار رشيد

الموضـــوع:

النـــقد الاجـــتماعـــي عـــنـــد عبد الحميد بن باديس

نوقشت علنا يوم: 17 /05/ 2017 أمام اللجنة المكونة من الأستاذ:

الأستاذ(ة) الرئيس..... لعموري شهيدة
الأستاذ المشرف..... برابح عمر
الأستاذ المناقش..... طـاهير رياض

الموسم الجامعي: 2017/2016

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

نحمد الله ونشكره على فضله ونعمته في إتمام هذا البحث المتواضع.

ومما يدعونا واجب الوفاء والعرفان بالجميل، أن نتقدم بالشكر العميق إلى أستاذنا الفاضل المشرف الرسمي على بحثنا – **برابح عمـر**- الذي لم يبخل علينا بمعلوماته القيمة وآراءه الصائبة، كما نتوجه بشكر خالص إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في مساعدتنا على إتمام البحث

كما لا يفوتنا أن نشكر كل أساتذة - **شعبة الفلسفة** - الذين أطرونا خلال المسار الجامعي

ومتنين أن يوفقهم الله في عملهم وأن يزيدهم فوق دراجاتهم درجات علمية أكبر مما عندهم.

كما نشكر رئيس قسم الفلسفة رياض طاهير للعمل الذي يقدمه للطلبة ولقسم الفلسفة بجامعة ورقلة.

-من لا يشكر الناس لا يشكر الله -

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

إننا في هذه الحياة على الأغلب ندين لكثير من الناس الذين علمونا خلال المسار الدراسي

ولعل أصغر شيء يمكننا فعله من أجلهم هو شكرهم

أنا أنتهز هذه الفرصة لشكر كل من كان له دورا في تعليمي وبلوغي هذا المستوى

وأبتدئ بشكر المولى عز وجل الذي رزقني العقل وحسن التوكل عليه سبحانه وتعالى وعلى نعمه

الكثيرة التي رزقني إياها

إلى من أنارا لي درب العلم والمعرفة وحرصا علي منذ الصغر واجتهدا في تربيتي والاعتناء بي والديا

الحبيبان .أمي خامسة.أبي نصر.القريبان إلى قلبي أرجو لكما دوام الصحة والعافية

إلى إخوتي وكل أفراد عائلتي فردا فردا إلى أبناء أخوتي (سندس، سارة، مؤيد، فاتح، زياد، معاد)

والى أساتذتي وكل من أشرف على تعليمي منذ الصغر إلى الآن أرجو من المولى عز وجل أن يجمعني

وإياكم في جنانه الواسعة، وخاصة أساتذة شعبة الفلسفة بجامعة ورقلة الذين أطرونا خلال المسار

الجامعي نقول لهم دمتم في خدمة الفلسفة .

إلى كل الأصدقاء زملائي بالدراسة، إلى صديقي العزيز عبد الواحد عاد، وإلي إبن عمي داود وإلى صديقي

رقيق يحي .

العتري نورالدين

إهداء

إليك يا قائد دربي ومخطط حياتي

إليك يا من زرعت المبادئ في روحي يا من جعل البعيد قريب والصعب هين لأجل أن يوصلني لهذا المكان أبي الغالي **البشير**.

إلى من أسكنتني الدارين الأولى بين أحضائها والثانية بين أحضانها وسهرت لأجلي إلى من لا تفارق صورتها مخيلتي مهما بعدت إلى منبع الحنان أمي **جميلة**.

إلى روح جدتي الغالية **مباركة**.

إلى قرة عيني أخي **علاء الدين** وأختي **دعاء الرحمان**.

إلى أستاذي المحترم **عمر برابح**.

إلى أعز أصدقائي **عبد الواحد ويحي، نور الدين** .

إلى من أحملهم في قلبي ولم تحملهم ورقتي أصدقائي وزملاء الدراسة، وكل أقاربي أهدي لهم ثمرة جهدي.

حاج عمار رشيد

مقدمة

شهدت البيئة العربية حالة من التدهور والانحطاط في جميع المجالات الاجتماعية من النواحي الدينية والثقافية والسياسية التي عرفتها الحياة في العصر الحديث، وقد تميز بانحطاط عربي في حين تميز المجتمع الأوروبي بقوة مادية وعلمية مما جعله يسيطر على عالم الشرق ويؤثر فيه بقوته؛ مما أدى ذلك إلى غزو بعض البلدان العربية طمعا في ثرواتها والتحكم فيها.

من خلال هذه المنطلقات كان المجتمع العربي فريسة للغرب وأصبح يعيش أوضاع متردية ترتبط بالجهل والبدع والخرافات والخلافات الإيديولوجيـة، تميزت بالعداء والتكفير داخل المجتمع الواحد.

إن هذه الأفكار لم تلق قبولا لدى بعض الفئات بل رفضتها وحاولت أن تعالجها حتى يخرج الإنسان العربي المغمور من محنته التي يعيشها، وحاولت أن تنشر نشاطا إصلاحيا للمجتمع، ومن بين هذه التيـارات التي شهدتـها البيئة العربيـة نجد التيار السلفي الذي ظـهر نشاطه على يد محمد بن عبد الوهاب الذي طـرح إشكاليـة الإصـلاح وشـروط قيامها وفق منظـور إسلامي دون الاحتكام إلى مصادر أخرى.

كما كانت الجزائر من بين الدول التي ظهرت بها هذه المظاهر وتميزت بانحطاط حضاري يعود سببه إلى الاستعمار والمجتمع من فساد على المستوى الأخلاقي والتربوي والديني يتمثل في البدع والخرافات وغيرها من الأمور السيئة وهذا مما جعل بعض المفكرين الجزائريين يفكرون وينظرون للواقع وللأزمة وكان بن باديس من أهم الشخصيات التي عالجت هته الإشكالية

داخل الجزائر والوطن العربي وفق منظور إسلامي سلفي؛ حيث دعا إلى نبذ السلبيات التي كان يعيشها المجتمع في ذلك العصر ومعالجتها بالوحي والسنة.

ومن بين الدوافع التي جعلتنا نعالج هذا الموضوع هي ميولنا نحونا الفلسفة العربية المعاصرة والرغبة في الإطلاع على المفكر والنظر إلي نشاطه الإصلاحي، كما يوجد دافع آخر وهو إبراز نشاط بن باديس إلى جانب المفكرين العرب.

تكمن أهمية الموضوع في توضيح نشاط بن باديس الإصلاحي، ومدى تعمقه في تشخيص الواقع.

في حين أن الإشكال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو: –هل الاعتماد على المرجعية الدينية كفيلة لتجاوز الإنسان لمأسيه الحديثة؟، ومن خلال هذه الإشكالية الرئيسية تندرج عدة تساؤلات من بينها:

– كيف كان الواقع الاجتماعي في عصره؟.

ـ ما هي معوقات النهضة عند بن باديس؟.

ـ كيف عالج إشكالية الإصلاح عند الفرد والمجتمع ؟.

وفي محاولة للإجابة على الإشكالية المطروحة في بحثنا هذا إرتأينا معالجة الموضوع من خلال خطة تتألف من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

مقدمة: توضح المعالم الأساسية لموضوع البحث.

أما الفصل الأول فكان عبارة عن مدخل تمهيدي وتناولنا فيه ثلاث مباحث، المبحث الأول لدراسة حياة المفكر وأهم أعماله، والمبحث الثاني تعرضنا فيه لمصادر فكر بن باديس، والمبحث الثالث تعرضنا فيه الواق الاجتماعي في عصره.

في حين خصصنا الفصل الثاني للمشروع الإصلاحي عند بن باديس وكان عنوانه إصلاح الفرد عند بن باديس، وتضمن ثلاث مباحث، الأول كان بعنوان التربية في بناء الفرد، والمبحث الثاني تحت عنوان الأخلاق عند بن باديس، في حين المبحث الثالث بعنوان نظرته الإستشرافية للفرد.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه إصلاح المجتمع عند بن باديس، ويحتوي على أربع مباحث وكان المبحث الأول بعنوان مقومات الهوية الوطنية في الفكر الباديسي، المبحث الثاني بعنوان نظرة بن باديس للعقيدة، المبحث الثالث موقفه من الاستعمار ويأتي المبحث الرابع والأخير نقد المنهج الإصلاحي عند بن باديس وفي الأخير خاتمة خلصنا من خلالها إلى أهم النتائج التي قادنا إليها البحث.

ولمعالجة هذا الموضوع إتبعنا المنهج التاريخي وذلك من أجل تتبع بعض المراحل التاريخية كما إعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي، قصد تحليل بعض أقوال عبد الحميد بن باديس والوقوف على أهم أرائه النقدية للمجتمع.

وللإجابة عن هذه الإشكالية واجهتنا عدة صعوبات من بينها تضارب بعض الآراء، توسع فكر بن باديس في أكثر من مجال وكذلك افتقار الدراسات الأكاديمية الفلسفية في هذا البحث.

الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المبحث الأول: حياته

المبحث الثاني: مصـادر فكره

المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي في عصره

المبحث الأول: نبذة عن حياته بن باديس:

1-حياته:

رائد من رواد النهضة العربية، ولد سنة (1889م/ 1307هـ)بمدينة قسنطينة، هو عبد الحميد بن المكي بن باديس، فكان الولد البكر لأبويه وهو من أسرة مشهورة بالعلم الثراء والجاه[1]، ويعود أصله إلى قبيلة عريقة بالمغرب الإسلامي وإفريقيا ومؤسس الدولة الصنهاجية* جده المعز بن باديس الصنهاجي الذي أعاد هيمنة المذهب السني المالكي بالمغرب الإسلامي[2]. وقد كان بن باديس يفتخر بنسبته إلى الصنهاجية، لأنها أحيت السنة وطغت على المذاهب الضالة، إذا فهو بمثابة خليفة لجده الذي كان يحارب ويقاوم البدع والضلالات ويعمل على إحياء السنة ويناضل ضد الإسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في إفريقيا؛ التي عرفت بمخالفتها لقواعد الدين الصحيح فكانت تنشر أفكارا لا علاقة لها بالإسلام وخاصة في جانب العقيدة والذات الإلهية مثل الصفات ومسألة الرؤية وغيرها من المسائل التي تخص اللاهوت الإسلامي.

كان عبد الحميد بن باديس مولعا بحفظه للقرآن الكريم، حيث حفِظه وهو في الثالثة عشر من عمره على يد شيخه محمد المداسي الذي لقّنه وفهّمه السنة النبوية وعلوم القرآن وتفسيره.

رحل الشيخ بن باديس إلى تونس سنة 1908 من أجل طلب العلم وتقوية زاده الفكري في علوم الدين والسنة النبوية المحمدية، وكان آنذاك يبلغ من عمره تسعة عشرا عاما وانتسب إلى

---

[1]) عبد الحميد بن باديس، كتاب الآثار، تحقيق عمار طالبي، مجلد 1، الشركة الجزائرية، ط1، د ت، ص 72.

* الصنهاجية: وهي دولة ظهرت في إفريقيا من الجانب الشمالي تعود إلى مؤسسها المعز بن باديس الصنهاجي الذي تولى إماراتها يوم السبت الثالث من ذي الحجة بعد وفاة أبيه بثلاث أيام كان يناضل من أجل نشر معالم العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة وقاد معارك كثيرة منها ضد الراوفض، والعبيديين الشيعة، أنظر على الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص ص94 -95.

[2]) راشد الغنوشي، محاضرة فديوبعنوان تأملات في الدين والسياسة،22أكتوبر 2010.

جامع الزيتونة، فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية والعربية على يد مجموعة من المشايخ الكبار البارزين في ذلك الوقت من بينهم الشيخ محمد النخلي، والشيخ لخضر الحسين الجزائري الأصل حضر عليه دروسا في المنطق من كتاب التهذيب والشيخ المفتي محمد النجار، وتخرج الشيخ من جامع الزيتونة بشهادة تطويع وكان ذلك خلال سنة(1911-1912 م)، وهو يبلغ من عمره ثلاثة وعشرون سنة، وأكثر ما كان اتصاله قويا في هذه المرحلة بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي يمثل زعيما من زعماء حركة النهضة العربية بتونس[1].

كان الشيخ بن باديس يمثل زعيما من زعماء الحركة السلفية في الجزائر ويعود ذلك إلى تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية ولذلك كانت معظم إصلاحاته تميل إلى الجانب الديني من خلال مصادره[2]، ولما كان بن باديس مقتديا بالقرآن والسنة رغب في العمل والنصح والإرشاد.

كما كانت للشيخ مواقف نقدية من مفهوم الخلافة الإسلامية فقد استنكر الصورة التي انتهت بها الخلافة العثمانية مع الأتراك العثمانيين آنذاك[3].

2-أهم أعماله:

عندما انتقل بن باديس إلى موسم الحج ثم رجع إلى الجزائر باشر مباشرة في تعليم النشء بالجامع الأخضر الكبير على القرآن وتربيتهم على التربية الإسلامية، المتمثلة في الأخلاق والمعاملات والاقتداء بالسلف الصالح، وذلك من أجل تكوين مجتمع يهتدي بالوحي والسنة، وإن انشغاله بهذه الأفكار جعلته يعمل على تربية الأطفال والشباب في مناهج وقواعد الإيمان

[1]) عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، ص 76.
[2]) الطاهر عمري، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية ق20 إلى مابين ح ع 1 و 2، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 2009، ص 208.
[3])جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط 3 ،د ت ، ص 18.

الصحيح[1]. يقول بن باديس في ذات السياق:" **لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عزمنا على القيام بالتدريس أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة وآدابها والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافية والحساب وغير هذا** "[2]. هذا النص يوضح أن بن باديس كان عازما في تعليم الأطفال والشباب على برامج عديدة لكي يكون هناك اتصال بين حاضر وماضي الأمة وطبيعتها الجغرافية ووعائهاالثقافي.

إن أهم عمل يميز أعمال بن باديس هو تأسيسه لجمعية علماء المسلمين، وكان ذلك في سنة 1931 مع مجموعة من العلماء والمشايخ، وكان الشيخ رئيس هذه الجمعية وقد وضع لها مبادئ أساسية لا يمكن المساس بها وهي المحافظة على الإسلام والعروبة: "**إن الإسلام ديننا والعربية لغتنا** " ويقول ابن باديس في ذات السياق: "**يا حضرة الاستعمار إن جمعية العلماء تعمل لصالح الإسلام بإصلاح عقائده ونظم حقائقه وإحياء آدابه وتاريخه تطالبك بتسليم مساجده وأوقافه** "[3]. ومن خلال نشاط بن باديس حول تأسيس جمعية علماء المسلمين يتضح أنه مولع بقضايا أمته التي ينتمي إليها من خلال محاربته للاستعمار والعقائد الدينية الفاسدة التي انتهجتها الطرق الصوفية.

كما كان بن باديس مولعا بالخطاب ومحاولا إيصال صوته ونهضته إلى مختلف أنحاء العالم العربي، لكي تتحرك النفوس وتستيقظ من الجانب الثوري والجانب العقائدي، من خلال

---

[1]) بسام العسلي، عبد الحميد ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت ،د ط ، 1983، ص 16 .

[2])عبد الحميد بن باديس، الآثار، الجزء الأول، المجلد الثاني، تحقيق عمار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر،ط1، 1968، ص27.

[3]) نقلا عن، تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، د ت ، ص 189 .

تأسيس عدة مجلات لكي يدون بها خطابه النهضوي إلى المجتمع الجزائري خاصة والعالم الإسلامي عامة، ونجد من بينها:

1-**جريدة المنتقد:** هي جريدة أسسها الشيخ بن باديس سنة 1926 وكان شعارها" **لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري** " وحيث كانت الجريدة منذ بدايتها حادة اللهجة، شديدة الانتقاد وذلك من خلال مقاومتها للاستعمار من جهة، والصوفية من جهة ثانية. إلا أن الاستعمار أغلقها بسبب حدتها وشدة انتقادها للمستعمر وهذا بعد صدور ثمانية عشر عددا منها، إلى أن غير شعارها" **الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء**"[1]. وذلك من أجل أن تتفادى ماحدث لها في الإصدارات الأولى التي أوقفها المستعمر.

2-جريدة البصائر: هي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة وكان تاريخ صدورها يــوم27 ديسمبر1935، وكانت هاته الصحيفة تعمل على الإصلاح الاجتماعي في دائرة الإسلام والعروبة[2]. وكان شعارها "**لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** "[3].

3-مجلة الشهاب: مجلة إسلامية أنشئت سنة 1343 من التاريخ الهجري وكانت هاته الجريدة تصدر كل شهر بقسنطينة، وكان مبدؤها الإصلاح في الجانب الديني والدنيوي، وأنها جعلت من الفرد نقطة أولى في إصلاح المجتمع، لأن الهرم الاجتماعي متشكل بمجوعة من البنى التحتية، وهذه البنى تقوم أساسا على الفرد الذي يمثل أساس هذا الهرم للمجتمع، إذا لكي يصلح الهرم الاجتماعي لابد أن يصلح عمود هذا الهرم الذي يمثله الفرد الذي يتكون منه المجتمع، ويتضح

[1]) تركي رابح، مرجع سابق، ص189.
[2]) عبد الحميد ابن باديس، البصائر، العدد الثالث، 10 ديسمبر1937.
[3]) المصدر نفسه، العدد الأول، 27 ديسمبر 1935.

ذلك من خلال شعارها:" **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها**"[1]. وكذلك:" **الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات**"[2]. ومن هنا يعتقد بن باديس أن إصلاح المجتمع متوقف على إصلاح الفرد لقوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍحَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**"[3].

4-جريدة الســـــنة :وكان تاريخ صدور هذه الجريدة في عام 1933 من السنة الميلادية، إلا أن السلطات الاستعمارية أبت إلا أن تحاربها، وذلك بعد صدور عدد قليل منها قامت السلطات الاستعمارية بغلقها خوفا منها لأنها تحاربه وتنتقده، وكانت هذه الجريدة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكما كانت الجريدة تدافع عن أمور المسلمين وعقائدهم، وتحارب الاستعمار الذي سعى إلى تدمير وتخريب البلاد ماديا ومعنويا[4]. ويقول بن باديس في هذه الجريدة:"**هانحن نتقدم بالأمة الجزائرية كلها على هذه النية عملنا على نشر السنة النبوية المحمدية وحمايتها من كل أذية**"[5].

[1]) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، العدد الأول، ج11، م12، ص 517.
[2]) المصدر نفسه، ص 517.
[3]) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.
[4]) تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، ط3،2003، ص 169.
[5]) عبد الحميد بن باديس ، السنة، العدد من1الى 13، العدد الأول، دار الغرب الإسلامي، د م، 1933، د ط، ص8 .

المبحث الثاني: مصـــــادر فكره.

إن شخصية بن باديس لم تكن شخصية مصطنعة ولا بالموهبة النابغة في تواجدها الذي ظهرت به، لقد ساهمت مجموعة من العوامل في تكوين هذه الشخصية التي ساعدت في تكوين هذ الشخصية نجد:

-إن العامل الرئيسي الذي ساعد في تكوين هذه الشخصية على المستوى العلمي والتربوي يعود إلى والديه الذين ربوه أحسن تربية من الناحية العلمية والأخلاقية وهيئوا له الظروف اللازمة لتكوينه على أحسن مايرام إذ يقول:" **توجيهي ذاك التوجيه يعود إلى أسرتي خصوصا والدي الذي وجهني وجهة أخلاقية وعلمية وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا** "[1]. وهذا الاعتراف يوضح التأثير الأسري في تكوين شخصيته التي أصبحت رائدة في العالم الإسلامي، وخاصة أبوه الذي عرف كيف يوجهه نحو الطريق الصحيح فأبوه هو الذي أرشده نحو تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم.

-والعامل الثاني يرجع إلى وطنية بن باديس وحبه للوطن فكان عازما أن يقضي طول عمره في خدمة الثوابت الوطنية، وتخليصهم من الأمراض التي لحقت بها سوى كان هذا المرض ماديا أم معنويا من جهل أو تخلف يمس هاته الثوابت الوطنية، إلى آخر رمق من حياته الدنيوية يقول:" **إن مرادي أن أعيش للجزائر وللإسلام فهل تعيشون مثلي للإسلام والجزائر**"[2].

إن الهدف من هذه الحياة عند بن باديس هو العيش للجزائر، وخدمة المجتمع وتنقيته من الشوائب في جانبه الروحي والدنيوي لكي يعيش وطنه في سلام، ولا مراد دون هذين الأمرين.

---

[1]) عبد الحميد بن باديس، الآثار، مصدر سابق، ص 77.

[2]) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج10، م12، ص 428 .

–والعامل الآخر يرجع إلى بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ الذين نمو استعداده الفكري في جميع المجالات يقول الشيخ العلامة بن باديس: " **واذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البالغ في تربيتي وفي حياتي اليومية...حمدان لونيسي نزيل المدينة المنورة ودفن فيها وثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة** "[1].كذلك يشير بن باديس إلى تأثره بشيخه الطاهر بن عاشور زعيم النهضة العربية بتونس يقول:" **إن أنسي فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة للأستاذ بن عاشور وكانت أول ماقرأت عليه وقد حببني في الأدب والثقة في الكلام العرب وأحيت مني شعورا بعز العروبة والاعتزاز بالإسلام**"[2] .

إن اعتراف عبد الحميد بن باديس بفضل معلميه عليه يدل على كرم أخلاقه وتواضعه ونبله.

–كذلك بن باديس يشير إلى تأثره بالمذهب الوهابي السني الذي يؤمن بمبدأ التوحيد ونبذ الشرك ـ لا إله إلا الله ـ والدعوة من دون الله مثل مايفعل بعض المشركين يقول بن باديس:" **إذا كانت الوهابية* هي عبادة الله وحده بما شرعه لعباده فإنها مذهبنا وملتنا السمحة التي ندين بها إلى الله وعليها نحيا ونموت ونبعث إن شاء الله من الآمنين** "[3]

إن أعمال بن باديس الإصلاحية تشير إلى أن هناك تقاطعا بين نظرته الإصلاحية ونظرة محمد بن عبد الوهاب في بلاد الحجاز الذي دعا إلى محاربة الشرك ونبذ الطرق الصوفية التي تدعو إلى القيام بأفعال خارجة عن نطاق الشريعة الإسلامية من بدع ومحرمات وتبرك بالأولياء.

---

[1]) عبد الحميد بن باديس، الآثار، مصدر سابق، ص ص78 79.

[2]) المصدر نفسه، الصفحتان نفسهما.

* الوهابية: هي دعوة تأسست على يد محمد بن عبد الوهاب من بني تميم ولد 1703م كانت دعوته تعتبر أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي التي ظهرت في عصره، أقام في العديد من المدن البصرة وبغداد، ودرس كتب ابن يتميه والإمام حنبل أنظر: على المحافظة، الاتجاهات الفكرية
عند العرب في عصر النهضة، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1987، ص ص49-50

[3])عبد الحميد بن باديس، السنة، مصدر سابق، ص 7 .

– تأثره ببعض منظري الحركة الإصلاحية الذين عالجوا إشكالية الإصلاح في المجتمعات العربية وأعطوا آرائهم في الإصلاح أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، ومحمد عبده*، وخاصة هذا الأخير في مجال التربية حيث كان يذكر بن باديس أن محمد عبده هو رجل العالم الإسلامي يقول :" **ليس الأستاذ محمد رجل مصر فقط بل هو رجل العالم الإسلامي كله يهتم بأمور المسلمين كلهم وينتقل في بلادهم ليقف على مبلغ الإيـمان فـي نفوســهم واستعدادهم للإصلاح...ومن البلاد الإسلامية التي تشرفت بزيارته لها بلاد... الجزائر التي ألقى فيها درسه المشهور تفسير سورة العصر**"[1]. وهذا يشير إلى أن بن باديس كانت له علاقة بمحمد عبده وخاصة عندما زار هذا الأخير الجزائر التقى بالشيخ بن باديس وتناقشا في بعض الأمور التي تخص واقع المجتمعات العربية.

كما يشير بن باديس إلى أحد أهم النقاط التي ساعدته في نشر أفكار التنويرية أنه عندما سافر مع زميله حمدان لونيسي إلى الحجاز، شاءت الأقدار أن يلتقي بن باديس بالشيخ حسين أحمد الهندي من الهند الذي أشار إليه ـ وكان عالما حكيما ـ بأن يعود إلى وطـنه وأن يتبع علمه بعمل بقصد خدمة الإسلام والعروبة لكي يفيدهم بنظرته الاستشرافية، بالرغم أن زميله نصحه بالمكوث بالمدينة المنورة وقطع علاقاته مع الجزائر لفترة من الزمن إلى أن يستقر الوضع بعد

* محمد عبده: مفكر نهضوي تعلم النحو بجامع الأزهر والجامع الأحمدي تتلمذ على يد مجموعة من المشايخ أحمد الرفاعي والشيخ عليشي من أصل مغربي، ولد وتوفي سنة (1849-1905) أنظر: أحمد أمين، زعماء التيار الإصلاحي في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت، ص ص280-288.

[1]) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج11، م12، ص354.

الاستعمار، وهذا الشيخ يعتبره بن باديس عاملا مؤثرا في نشر رسالته للأمة المتمثلة في الرسالة الروحية والدنيوية، لأنه وجهه أحسن توجيه[1] .

المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي في عصره:

لعل من المفيد، حتى تدرك أبعاد الجهود العظيمة التي بذلها بن باديس من أجل تحرير الوطن وشعبه من نير العبودية والاستعمار، والتي أثمرت الحرية للشعب والاستقلال للبلاد، أن نتعرف على أحوال الجزائر في ظل هذا الاحتلال الذي سعى دائما إلى سلخ الشعب من مقوماته وثوابته متبعا سياسة "فرق تسد" و"الحديد والنار"، من أجل القضاء على الثوابت الوطنية وإحداث فجوة كبيرة بين أفراد المجتمع، وذلك من خلال مجموعة من الوسائل الاستعمارية، ولعل من أهمها نجد : **التنصير***، **التبشير، التفقير، التجهيل والفرنسة، الإدماج، غيرها من الوسائل** .

1التنصير:

عندما وطأت الحركات الصليبية بالمشرق وخاصة بالمنطقة العربية الإسلامية والمغرب العربي الإسلامي، كان لها موقف عدائي من الإسلام الذي يمثل خطرا على الغرب، ولذلك لجأت إلى حملة للتبشير بالدين المسيحي بين المسلمين، والتشكيك في الوحي والسنة ولذلك يقول أحد القسيسين: " **إنكم جئتم معنا لتفتحوا أبواب المسيحية بإفريقيا**"[2].

هذا يوضح أن هدف الحملات الصليبية التي شنها الغرب المسيحي ليس الهدف منها التوسع الجغرافي فحسب بل يظهر هناك جانب عدائي عقائدي بين المسيحية التي تخشى انتشار

[1]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 41.

*التنصير: نصر، ينصر، تنصير وتعني الدخول في النصرانية، فهو دعوة دينية لإتباع ماجاء به الإنجيل من تعاليم وعقائد، أنظر ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مجلد 13، ط3، 1994، ص 4441.

[2]) نقلا عن تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية، د م، د ط، 1982، ص 129.

الإسلام بين مناطق من العالم، ولهذا يظهر موقفهم من خلال رغبتهم في الدعوة إلى المسيحية بأكملها ولو بطريقة أخرى وتكون مقنعة وغير مرئية، فالواقع يشير أن التطورات التي أحدثها الغرب واقتبسها الشرق، العديد منها لها أهداف دينية كالعولمة وغيرها من كل هذه الأمور ولذلك حذرنا الله من إتباعهم: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** "[1]. وهذا يوضح أن لا نجعل اليهود رمزا في الإقتداء بمنهجهم في العادات والتقاليد الغير إسلامية، إلا بما ينفع المسلمين.

ولهذا إذا كانت الجزائر من بين البلدان التي لحقتها الحملات الصليبية فهي أيضا لا تخلو من الحملات التبشيرية، تظهر سياسة التنصير في الجزائر منذ سنة 1830م عندما دخلت فرنسا الجزائر فكانت كل سياستها واضحة تهدف إلى التبشير من خلال الاعتداء على المقدسات والأوقاف الإسلامية والمساجد والزوايا، والمكتبات والمعاهد، فيقول سكرتير الجنرال بيجو حاكم الجزائر سنة 1837، الذي حول الجامع الكبير الذي كان منبرا للإشعاع الروحي عند بن باديس إلى كنيسة مصرحا فوق المنبر:"...**إن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح** "[2]. وتشير هذه الأفكار إلى أن هناك رغبة من طرف المستعمرين، لأجل نشر معالم المسيحية والقضاء على الإيديولوجية الذي يمثلها المعتقد الإسلامي في الجزائر، وجعل المسيحية رمزا من رموز المجتمع الجزائري المسلم.

لقد كان الاستعمار يهدف إلى غايتين أساسيتين غزو الأرض وهو أسلوبه في ذلك" الحديد والنار" ومستندا إلى الجانب العسكري والذي يعتمد سياسة الترهيب والقتل وغيرهما من الأعمال

[1]) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 51.
[2]) نقلا عن تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص80.

الإجرامية بينما الثاني يتمثل في الغزو الفكري وأسند مهمته إلى رجال الدين المسيحي[1]. الذين قاموا بالتبشير بعقائد الدين المسيحي من تثليث وغيرها من المسائل الدينية في الجزائر، وباعتبار الدين الإسلامي مركز قوة المجتمع الجزائري ومصدر تعاليهم وإيمـانهم بالوحي، والرسول "**صل الله عليه وسلم** " أهم عقبة وقفت في وجه المبشرين في نشر تعاليم الديانة المسحية[2]. ومن خلال هذا يوضـح أن الاستعمار كان يهدف إلى إحيـاء المسيـحية وتحطيم الدين الإسلامي بالجزائر ويقول أحد المتحمسين في كلامه"**يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي...وعلينا أن نعرفهم بأجدادنا الأولين**"[3]. وكلمة الأجداد توضح أن المتحمسين كانوا متعصبين في نشر معتقدهم الديني ولجؤوا إلى ذلك بالعمل المسلح والعنف مثلما حدث ذلك مع الإسلام في عصره الأول فكانت هناك أعمال عنف للكفار ضد المسلمين من أجل تكفيرهم وتركهم للإسلام، وبذلك يصبح المسلمين متبرئين من دينهم.

2-التفقير :

بعد ماتطرقنا إلى سياسة من سياسات الفرنسية المتمثلة في التنصير سوف نتطرق إلى سياسة أخري وهي التفقير، التي انتهجتها فرنسا من أجل شد الخناق على الشعب واستسلامه للمستعمر. ويصبح المجتمع الجزائري تحت سياسة الاستبداد يقول عبد الرحمن الكواكبي في سياق

[1]) عبد القادر حلوش،سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،دار الأمة، الجزائر، دط، 2010،ص76.
[2]) محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر،1830الى 1904، دار حلب، الجزائر، دط، 2009، ص67.
[3]) نقلاعن خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية بالجزائر 1830-1871م، دارحلب، دم، دت، دط، ص50.

حديثه:"**إن المجتمع المستبد يحكم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاضب فيضع رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته بالحق**"[1].

إن هذه السياسة الوحشية التي انتهجتها فرنسا ضد الجزائر وبما اتبعها من أساليب لإرهاق الشعب الجزائري واستسلامه للاستعمار بإتباع سياسة الموت البطيء، وإن التاريخ لم يذكر أبدا حدوث مجاعات من قبل وبالأخص من هذا النوع الذي انتهجته فرنسا، وذلك لأن فرنسا لم تجد سبيلا لتغلب على هذا الشعب إلا من خلال حرمانه من الوسائل الضرورية للحياة من غذاء وماء، ولذلك قامت فرنسا بتطبيق مخطط إجرامي يتمثل في إحراق الغابات والحقول والبساتين وتخريب المدن والقرى أدى ذلك إلى ظهور مجاعات انتظرتها فرنسا بفارغ الصبر[2]. وذلك من أجل أن تطيع الجزائر فرنسا وتصبح تحت مقومات الدولة الفرنسية ويصبح المغلوب تحت سلطة الغالب وبذلك تطبق مقولة المغلوب مولع بتقليد الغالب لأنه مرغم.

كما أن فرنسا من خلال سياستها التي اتبعتها، اغتصبت أراضي الجزائريين التي تعتبر مورد الرزق للجزائريين، ومصدر حياتهم المعيشية، ففرنسا عندما دخلت الجزائر وجهت مجموعة من القرارات لملاك الأراضي، ففرضت مجموعة من الضرائب، وأرهقتهم بالغرامات الجماعية الفادحة التي تسببت في إفقار الشعب[3]، يتضح الهدف من سياسة التفقير التي اتبعتها فرنسا أنها كانت تهدف إلى جعل المجتمع الجزائري يعيش تحت وطأت الفقر، لكي يتسنى لفرنسا السيطرة والتحكم في المجتمع وتجعله يسير تحت قراراته المتوحشة.

---

[1]) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، بيروت، ط3، 2006، ص41.
[2]) بسام العسلي، مرجع سابق، ص38.
[3]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص125.

كما لجأت فرنسا إلى تجهيل الشعب فقد قضت على معظم مراكز التعليم في الجزائر واستولت على أوقافه، وشهد الواقع الاجتماعي في هذا العصر نسبة جهل وأمية كبيرة داخل المجتمع، كما وصلت نسبة الأمية بين النساء إلى 99% وبين الرجال 95% وذلك سعيا منها محو مقومات المجتمع الجزائري وخاصة اللسان العربي والدين الإسلامي، وبعث مكانه مقومات المستعمر، ففرنسا كانت تلعب على سياسة الضغط من أجل رضخ المجتمع وبذلك تصبح الجزائر مملكة فرنسا، وقراراتها فرنسية وديانتها مسيحية[1].

-الفرنسة :

عندما دخلت الحركة الاستعمارية إلى الجزائر، حاولت أن تقضي على الثوابت الوطنية العروبة والإسلام، والوطن، وتستبدل مكانه هوية جديدة متمثلة في هوية المستعمر من دين ولغة وانتماء، إن من بين ما لجأت إليه فرنسا أيضا هو فرنسة الشعب الجزائري من خلال فتح مؤسسات تعلم اللغة الفرنسية وتعلمهم الثقافة الفرنسية وليس الهدف من هذه المبادرة سوى: "**تكوين مجتمع واع ومثقف، أو عقولا فرنسية مثل فولتير أو مونتسكيو أو روسو، إنما هو تبديل لغة بلغة ودين مكان دين وعادات بعادات أخرى غير التي كانت سائدة في المجتمع**"[2]. إن المتضح من خلال هذه الأفكار الفرنسية محاولة منها جعل اللسان الجزائري أعجمي وهو لسان المجتمع غير العربي، وسلخه من هويته الأصلية ونشر فيه مبادئ الهوية الفرنسية ويصبح بذلك مجتمعا أوروبيا.

ولم يكن للمستعمرين والمبشرين غاية من وراء إنشائهم للمدارس والمعاهد التي أنشاؤها بالجزائر وغيرها من الأماكن التعليمية سوى التبشير، ونشر المسيحية، واعتقدوا أن التعليم أحسن

[1]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص ص127 - 128.
[2]) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 47.

وسيلة لسلخ الهوية الدينية داخل المجتمع، فبعثت فرنسا بالطلبة الجزائريين إلى الخارج، وكان وراء هذا الهدف من التعليم الإرسالي هو نشر معتقدهم الديني[1]. ودمجهم مع ثقافات المجتمع الغربي، الذي يشترك مع أفكارهم وأيديولوجيتهم الدينية.

لقد نظرت فرنسا إلى الجزائر نظرة جغرافية، حيث اعتبرت أن الجزائر هي البوابة الرئيسية لإفريقيا، وخاصة من الجانب الشمالي الذي يمثله التواجد الإسلامي، الذي حاربته وحاولت أن تستبدله بالمسيحية، وبذلك فإذا استعمرت فرنسا الجزائر فإنها تفتح الباب أمام نفسها لاستعمار مجموعة أخري من بلدان العالم الإسلامي.

4-الإدماج:

إن الأمم العظيمة هي تلك التي تعتبر بهويتها وتقدم إسهامها في الحضارة الإنسانية من موقع المستقبل المتحرر وترفض الذوبان الحضاري والانسلاخ الثقافي، وهذه الهوية قد تتلاشي ولا تعود تعي شيئا، إن فقدت هذه المواصفات المذكورة من الأمة، وخاصة إذا كان للاحتلال دور في ذلك، وإن أقدر الناس والأمم على التحكم بالقوى المادية والمنجزات الحضارية، والتطور العلمي، هم في الوقت ذاته أقدرهم علي تزويد العقول بالأفكار وهذا المنهج سار عليه الاستعمار بحكم تفوقه إلى خلق وصناعة عقول تكون نسخة طبق الأصل لعقله وفكره لا تختلف عنه ولا تخالفه، وهذا يدخل ضمن أجنحة الغزو الثقافي، الذي تبناه الاحتلال الفرنسي بالجزائر [2].

[1]) إبراهيم نواري، أصول التربية والتعليم عند جمعية علماء المسلمين، مذكرة تخرج غير مشورة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة بوزريعة، 2014-2015، ص28 .

[2]) المرجع نفسه، ص21.

ولقد أدرك الاستعمار أنه لاسبيل لتحقيق هذا المنطق ولايمكن تواجده إلا من خلال دمج الهوية بين المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري حتى لاتكون هناك فروق بينه وبين المجتمع الأخر الأوروبي، حيث دعي المستعمر إلى دمج الهويتين مع مساواة المجتمعين في الأمور السياسية والدينية.

لقد اعتبرت فرنسا أن أهم وسيلة لتحقيق هذا الإدماج هي جعل المجتمع يتمتع بالثقافة الغربية ويعبر بلغتهم الأعجمية، لأن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، إذا تكلم الجزائريين الفرنسية فهذا يعني أنه مدمج فكريا مع المجتمع الأوروبي[1].

واعتبر الاستعمار أن إعطاء كافة الحقوق التي يتمتع بها المحتل من تجنيس وتعليم سوف يحل من إشكالية الاستعمار، ولابد أن تعلم أن الفائدة من هذا التجنيس ـ إنه يمثل غزو ثقافي ـ لأنه يهدف إلى ذوبان شخصية المجتمع وانسلاخه من هويته الرئيسية، والغاية من كل هذا في نظر المستعمر " **تكوين رجال يكون لهم تأثير على مواطنيهم يساعدونا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا**"[2]. مستأصل من تاريخه، وجعله منغلق بالحاضر الذي يمثله الغرب من تطور وحضارة في جميع المجالات حسب نظرتهم.

إن كل السياسات التي انتهجا المستعمر سوى كان في الجزائر أو في الوطن العربي كان الهدف من ورائها الهيمنة الثقافية والجغرافية على المجتمعات العربية، وكما كانت هذه السياسات أيضا بالنسبة للبيئة العربية تمهيدا لظهور الحركات الإصلاحية في الوطن العربي. ولظهور الفكر الإصلاحي عند بن باديس في الجزائر.

[1]) إبراهيم نواري، مرجع سابق، ص ص 21- 22.
[2]) بوعلام بسايح، الثقافة الإفريقية طموحات ومتطلبات، مجلة الثقافة، العدد96، ديسمبر 1996.

الفصل الثاني: إصلاح الفرد عند بن باديس

المبحث الأول: التربية في بناء الفرد

المبحث الثاني: الأخلاق عند بن باديس

المبحث الثالث: نظرته الاستشرافية للفرد

المبحث الأول: التربية في بناء الفرد

1- تربية الفرد.

إن فلسفة التربية الإسلامية هي فلسفة متكاملة، سعت إلى تحقيق الفرد وتكوينه داخل المجتمع حتى يكون مهيأ بداخله نفسيا واجتماعيا وماديا، وهي فلسفة عجزت النظريات الأخرى في تكوينها لأنها اهتمت بالجانب المادي للإنسان كالمادية والبرغماتية، التي أسست مذهبها في التربية على الفرد وأهملت الجانب الاجتماعي، وجعلت من الإنسان مرغما في إتباع شهواته ميولاته النفسية والجسمية، وبذلك يصبح الإنسان يبني أفكاره على أساس ذاته لا على أساس الغير، لأن الغريزة والمصلحة والأنانية هي التي وجهته، وكذلك أهملت الجانب الروحي الذي يعد عملا أساسيا لتكوين الفرد لدي فلسفة التربية الإسلامية، لذلك نجد مجموعة من فلسفات التربية الحديثة تعتقد أن تربية الإنسان وإعداده للحياة منفصلا عن الحياة الروحية، ولذلك يقول أنور الجندي: " **لقد أعدت التربية المسلم بأمرين جهلتهما التربية الحديثة وعجزت عنهما لمصادرها المادية – أولا الإرادة والمسؤولية الفردية حتى يعرف الإنسان أنه قادر على أن يختار بين الخير والشر، الحق والباطل وهذه المسؤولية قائمة على جزاء وعقاب – والالتزام الأخلاقي الذي يحيط بالإنسان وعمله الذي يجعله إنسانا قويا وقادرا على مواجهة كل خطر**"[1].

ولهذا فالتربية الإسلامية منبثقة كل الانبثاق من الوحي والسنة النبوية، من خلال الاقتداء بهما في مجال التربية، وهذه الأمور عجزت عنها الفلسفات الحديثة في تكوينها للفرد ولما أهملت

[1]) أنور الجندي، التربية الإسلامية في الإطار الحقيقي للتعلم، دار الأنصار، لبنان، د ط، د ت، ص ص 17 18.

هذه الأمور وقعت في انهيار أخلاقي كبير ناتجا عن سلطة الذات المشبعة بالغريزة الحيوانية والتمرد عن الأخر من خلال الأنانية.

إن التربية الإسلامية تربية متكاملة جعلت من الإنسان رجلا قويا خاليا من سلطة الشهوات والأنانية داخل المجتمع وبذلك يكون إنسانا صالحا وحاميا للوطن والعقيدة ومبعثا للأخلاق والمكارم لأن التربية الإسلامية تهدف وتؤكد على ذلك، بأن تقيم بنيانها في تكوين الذات الإنسانية على المعاملات والأخلاق، فمن خلال هذه القراءة فإن "**الهدف الذي تسعى إليه فلسفة التربية الإسلامية هي بلوغ المتعلم درجة الرقي الإنساني أو درجة أحسن تقويم حسب التعبير القرآني ويبلغ الإنسان درجة الرقي حين تتشكل علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة** " [1].

فالتربية الإسلامية إذا أول ما تبتدئ به في التكوين، تعمل على بناء الفرد من داخله من قلبه وضميره ونفسه، وكذلك تزكية النفس على عمل الخير حتى تجعله يتعامل مع الله كأنه يراه ومن هنا فهو لا يحتاج إلى أي رقيب داخل مجتمعه إذا كان الإنسان أدى واجبه اتجاه المعبود على أحسن ما يرام فواجبه اتجاه نظيره يكون تحصيل من الأول، لأنه بناء متكامل. فالتربية الإسلامية توجه عناية خاصة وقصوى لإصلاح الفرد نفسا، وضميرا وروحا وجسما وحواسا وحرفا[2]، كمقدمة لإصلاح المجتمع، وذلك لاعتبار الفرد سيدا في هذا الكون بعد المحرك الأول، لقوله تعالى : " **وَإِذ قَالَ رَبُّك لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَل فِيهَا مَن يُفْسِدُ فيهَا**

[1]) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ص57.
[2]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 25.

ويَسْفِكُ الدِّمَاءَ ونَحْن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَك قَال إِنِّي أَعْلَم مَا لَا تَعْلَمُونَ"[1].

إذا فالتربية الإسلامية قدست الإنسان وأعطته قيمة قصوى داخل المجتمع وعملت على تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، وهاته السعادة عجزت الفلسفة الوجودية على حلها لأن قلق الإنسان نحو العدم يبقى قائما حتى لو تحققت سعادة مصطنعة، لذلك فالتربية الإسلامية لم تجد إشكالا في قضية العدم فإن قضية الموت لدى الإنسان المسلم تحل بالتربية، وبالتالي يكون الإنسان نافيا فكرة الخوف من الموت أو العدم، لأن الحياة إذا توجهت نحو التربية الصحيحة والعمل الصحيح لا يمكن أن يتخلل الإنسان أفكار غير صائبة اتجاه دينه ودنياه إن: "**العقل إذا تجرد من غشاوة الوهم لم يتصور أن يغلط بل يري الأشياء كما هي عليه** "[2]. وذلك يتضح أن الحياة إذا صلح فيها الجانب الذهني من الأفكار السيئة كالصوفية والجهل والبدع والخرافات وتوجهت نحو صفائها الذهني وغايتها الدينية، بذلك فسوف تتوجه الحياة نحو مرادها من ازدهار في الدنيا من حضارة وتمدن في الإسلام، والتاريخ يشهد أن الحضارة الإسلامية عرفت ازدهارا كبـيرا في جميع الميادين التي شهدتها الحياة، ويعود ذلك إلى التربية الصحيحة المبنية على القرآن والسنة، فمن خلال هذه الأمور عرفت الحياة في العصر العباسي حياة علمية راقية لم يشهد لها التاريخ، لأنها ممزوجة بالطابع الديني، الذي عجزت الحضارة الغربية في إحداث توليفة بينهما .

[1]) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 30.

[2]) حماد يحي صالح العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية، شبكة العلوم النفسية العربية، د م، د ط، 2013، ص23.

ذلك لأن العقل يهتدي إلا بالشرع والشرع يسترشد ولا يتبن إلا من خلال العقل إذا فالعقل هو بمثابة الأساس والشرع كالبناء أي أن إذا كانت هناك صلة بين الدين والعقل سوف تستقيم الحياة نحو مرادها[1].

وإذا كانت التربية الإسلامية بهذا المعنى، فإن فلسفة بن باديس لا تختلف كثير عنها ولذلك أول ما دعت إليه جمعية علماء المسلمين هو الإصلاح التربوي لأن التربية تهدف لإصلاح الفرد والمجتمع، يقول مبارك الميلي: " **وقد شعر علماؤنا باختلال التربية فنهضو لإصلاحها حتى تنتج الاستقامة، إلى سعادة الدنيا والآخرة**"[2]. ولهذا فعملية الإصلاح عند جمعية علماء المسلمين أول ما بدأت به في الإصلاح بدأت بعملية التربية لأن التربية تهدف إلى غسل الإنسان وتنقيته من الشوائب التي لحقت به، لذلك عملت التربية لدي بن باديس وجمعية علماء المسلمين مكانة هامة في إصلاح الفرد داخل المجتمع يقول مبارك الميلي:" **جمعية علماء المسلمين الجزائريين التي نحن في استقبال عامها الثالث ... القضاء على ظاهرتين في فساد تربيتنا، أحدهما ما كان عليه علماءنا من التحاسد حتى أن البلدة للعامة ومن أجل طلب مالها أهملت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...**" [3]. وهذا يتضح إن التربية عولجت من طرف ظاهرتين الأولى يمكن إصلاحها عن طريق تكوين علماء صالحين وخالصين في أداء واجبهم وتزكية نفوسهم علي الخير ونبذ الأنانية وجعل العلم وتربية الفرد فوق كل شيء، حتى يكونوا قدوة ورجال صالحين لبناء الفرد، وأما إصلاح التربية من جانبها الثاني فيعود إلى إصلاح دور العلماء في التوجيه

[1]) حماد يحي صالح العسكري، مرجع سابق، ص23.
[2]) مبارك الميلي، الشريعة النبوية المحمدية، العدد الثاني، 24 جويلية 1933، ص2.
[3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والإرشاد دون الرضوخ إلى أوامر خارجية التي أصبحت تتحكم في الأمور الدنيوية والدينية كالصوفية التي أصبحت تأثر في الواقع الاجتماعي.

كما حاول بن باديس أن يتخطى هذه الأمور التي طغت على التربية فحاول أن يكون مربيا صالحا من خلال الإقتداء بمناهج القرآن الكريم والسنة النبوية المحمدية، فكان الشيخ يعمل على التربية في المساجد وكان الجامع الكبير أو ما يسمى مسجد كتساوه خير دليل شاهد على ذلك فكان بن باديس يربى تلامذته على الإسلام من خلال مبادئ السنة والقرآن الكريم والإقتداء بالعلماء وكان يعلمهم حتى مبادئ التاريخ والجغرافيا، يقول بن باديس في مقال لجمعية العلماء ينصح فيه المشايخ بأن لا يتخلوا عن هذا العمل رغم مضايقة الحكومة الفرنسية لهم:" **إن الجمعية ومجلس نوابها ثابتون ثبات الجبال ثقة بأنفسهم خير دعاة وقصاد خير عمال..**"[1]. ويتضح منهج بن باديس من خلال التربية بأنه منهج قائم على فلسفة لبناء الفرد في دائرة العروبة والإسلام والقومية التي تهدف إلى تحقيق المواطنة في إطار المبادئ المتفق عليها من خلال الدعوة.

واعتبر بن باديس أهم هدف يمكن تحقيقه للفرد هو جعل الفرد محافظا على مقومات وطنه التي ينتمي إليها، فالفرد ينتمي في مقوماته إلى العربية التي تمثل لغة القرآن والإسلام منهجه . القرآن والسنة . والأرض التي تمثل البيئة الجغرافية وفيها تتحقق كينونة الفرد، وهذه السيادة يمكن المحافظة عليها بالتربية لأن التربية هي فن لصناعة الأجيال ولذلك فهي وسيلة لإبقاء

[1])عبد الحميد بن باديس، الشريعة النبوية المحمدية، العدد الأول، 17جويلية 1933، ص6.

المجتمع على ثوابته الوطنية، لأن رسالة التعليم الأساسية هي تكوين ذاتية الفرد والمجتمع[1]. وإن أعددت أفرادا بهذه الصفات لا يمكن للأمة أن تخاف على مقوماتها، ولا يعني هذا التحفظ بأن الإنسان لا يقتبس من غيره، فيمكن له أن يقتبس من الأماكن الأخرى من علوم ومعارف، إلا بما يفيده في حياته، وأن لا تكون الأفكار التي اقتبسها متخالفة عن الوحي والسنة.

2- موقف بن باديس من تعليم المرآة.

إذا نظرنا إلى تعليم المرأة ومكانتها داخل المجتمع عبر العصور القديمة التي ظهرت قبل الإسلام كالعصر الجاهلي والإغريقي فسوف نجد اختلاف كبير في رؤية كل منهما للمرأة.

فكانت المرأة قبل الإسلام تحتل مكانة متدنية، فكانت كل حقوقها مهضومة مقارنة بالرجل، فكان الواقع يشير أن المجتمعات القديمة، إذا بشر الرجل فيها بأنثى كأنه بشر بموته، فالغم والحزن يغيمان عليه، حيث كانت العرب في عصر الجاهلية عندما يرزقون بأنثى يذهب بها لدفن مباشرة وذلك لاعتقاد منهم أن الأنثى لا تجلب إلا المضرة والشقاء للرجل، لذلك يدفنها وهي حية ترزق وقد ورد هذا المشهد في القرآن الكريم:" **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**"[2]. وهذا يتضح أن البنت في هذا العصر لم تكن تتمتع بأية حقوق حتى في الحياة الطبيعية التي قذفها الله فيها، ولم يشهد التاريخ إلا هذا الموقف فحسب بل ظهرت حتى في العصر الإغريقي اليوناني، الذي هو أيضا لم يسلم من هذه النظرة، فكان موقفه من المرأة غير منصف واعتبرها مثل العبد الخادم، المهضوم لحقوقه، الذي لا يستطيع أن ينتقد أو يتمرد عن الوضع يقول عبد الفتاح إمام :"

[1]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص146.
[2]) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 58.

كان و ضع المرأة في المجتمع اليوناني يشبه كثيرا وضع العبيد فلفظ الزوجة يعني دمار "[1].

وهذا يوضح أن وضع المرأة في هذا العصر كانت متدنية، فكانوا ينظرون إليها بنظرة سلبية فكانت وظيفتها سوي الوظيفة البيولوجية وهي الإنجاب والمكوث في البيت وخدمته حتى تصبح مهمتها داخل المجتمع محدودة وبدون فاعلية، وإضافة إلي ذلك فكانوا يقولون بفكرة تناسخ الأرواح فالصورة عند المرأة عندما تخرج من الهيولى تذهب إلي مرتبة أقل منها كالحيوان ونفسها هي تأتيها من الرجل بعد وفاته وهذا يفسر المكانة الدنيا للمرأة التي كانت تتمتع بها .

إلى أن جاء الإسلام وغير هذه النظرة وأعطاها حقوقها التي أهضمتها لها المجتمعات من قبل، إن الإسلام أعطى للمرأة كل الحقوق المدنية وأعطاها شأن قوي داخل المجتمع وأنصفها حقوقها ونهى عن قتلها فالخوف الذي كان مزعوم من المرأة من حياة بؤس وشقاء التي تجلبه الأنثى استبدله الإسلام برزق وجنة، فإن سبب دخول الرجال الجنة في الإسلام يعود إلى احترامهم للمرأة . الأم . من الأشياء التي قدمها الإسلام للمرأة هو اعتبار أن المرأة والرجل من أصل واحد[2].

ويتضح من ذلك أن الإسلام أعطى للمرأة كامل حقوقها من كرامة ورزق وقد سواها إلى جانب الرجل ولا يوجد فرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ومن هنا استنادا إلى القرآن الكريم والسنة اعتمد بن باديس على المرأة في التربية لأن لها دور كبير داخل المجتمع وبها يتم تجاوز المشاكل الدنيوية التي ظهرت داخل المجتمعات إذا فهي تعتبر مبعثا للخير إذا أحسن المجتمع توجيهها نحو ما نصه الشرع، يقول البشير الإبراهيمي في

[1]) إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص76.
[2]) محمد الغزالي وآخرون، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، د م، د ت، د ط، ص44.

ذات السياق:

كتمانها غبن وغش وضـــرر * لا تنسى (حوى) إنها أخت الذكر

تحمل ما يحمل من خير وشــر* تثمر ما يثمر من حلو ومر وشر

وكيفما تكونت كان ثمـــــــر * و كل ما تضعه فيها استقر

كيف يرضي عاقل أن استـــــمر * مزيدة على الحواشي والضرر

تزرع في النشء أفانين الخـــور * ترضعه أخلاقها مع الدرر

وإنها إن أهملت كان الخـــــــطر * كان البلاء كان الغبن كان الضرر[1].

ومن هنا يتضح تمجيد المرأة عند بن باديس والبشير الإبراهيمي اللذان كان يتجهان نحو فكر واحد واعتبر الإبراهيمي إذا أعددتها أعددت شعبا متربيا طيب المكارم والأخلاق والعكس صحيح إذا أهملناها ولم نربها أحسن تربية فسوف ننشئ شعبا غير واعي تتخلله نقائص عديدة على المستوي الذهني الذي يعبر عن ثقافة المجتمع ومدى تحضره.

إعتبر بن باديس أن المرأة لها كل الحق في التعلم والثقافة إلى أبعد نقطة ما، حسب قدراتها لأنها قرينة الرجل ولها نفس المسؤوليات التي يتمتع بها الرجل، واشترط بن باديس أن يكون تعلمها لا يخل بتعاليم الدين الصحيح من دين وقومية وأخلاق النسوية الفاضلة لأن اختلال كل من هاته الأشياء يؤدي بالمساس بالثوابت الوطنية التي طالما دافع عنها بالغالي والنفيس، فالإسلام أعطاها حدود لا يمكن تجاوزها، لا كن ما أعطاها من حقوق داخل المجتمع يكفيها أن تكون امرأة صالحة

[1]) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الرابع (1952-1954)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، د ت، ص 133.

هادفة بناءة لا هادمة للأمة. لأن المرأة تساعد الرجل في تربية الأبناء والأسرة الصالحة يقول بن باديس :" **إذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات ولا سبيل لذلك** "[1]. وهذا يتضح أن مكانة المرأة داخل الأسرة والمجتمع في البيئة الإسلامية لا تتوقف في حدود معينة كالأسرة بل تتجاوزها بكثير حتى أنه نجد هناك ارتباط وثيق بين المرأة التي تمثل نواة الأسرة والتنشئة الاجتماعية، حتى ورد أنه سر تقدم كل عمل عظيم للإنسان في الحياة يعود إلى امرأة عظيمة، وهنا يتضح أن المرأة رغم احتقارها لكن مكانتها قوية داخل المجتمع ، وخاصة في تربية الفرد لأنها بفكرها تستطيع أن تخلق وتطبع في ذات الفرد وتورثه أفكارا، لذلك فلا يجب إهمالها، لأن الوسط الاجتماعي إذا أردنا إصلاحه يجب إصلاح الأسرة التي تعتبر نواة المجتمع، وتشير الدراسات أن جل المصلحين العرب الذين عالجوا إشكالية النهضة والذين كانوا رجال العالم الإسلامي كانت من الدوافع التي جعلتهم يحتلون هذه المكانة هي التربية الأسرية .

ومن بين العلوم التي ركزت عليها جمعية العلماء المسلمين في تربية المرأة إلى جانب العلوم العقلية هي العلوم الشرعية يقول بن باديس: " **فعلينا أن نكمل النساء تكميلا دينيا، يهيئن للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة وإعداد الكاملين ومساعدتهم للنهوض بالقسم الخارجي منها وبذلك تنتظم الحياة انتظاما طبيعيا وتبلغ به الإنسانية سعادتها وكمالها**"[2]. ولكي تكون المرأة مربية للأجيال لذلك لابد لها من معرفة العلوم الشرعية، حتى ينشئن جيلا يرتقي بأمته وقد أعطى

[1]) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج8، م11، ص 449.
[2]) عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، 1983، ص 16.

بن باديس نموذجا لابد من إتباعه والاقتداء به في التربية الأسرية وهو رشيد رضا، الذي كان رائدا كبيرا من رواد النهضة العربية والسبب يعود في ذلك إلى التربية الأسرية.

ويؤكد بن باديس أن التعليم يساعد المرأة في أداء واجبها وهي تربية الأجيال لأن الإخلال بهذه الوظيفة سوف تكون مقدمة لانهيار المجتمع، كما يشير بن باديس في تربيته للمرأة إلى نقطة مهمة وهي أن لا يكون هذا التعليم ممتزجا بين الرجال والنساء، بل يجب تعليم كل واحد منهم لوحده مما يشير انه كان يجعل يوم خاص لتعليم الرجال ويوم خاص لتعليم النساء، أو في بعض الأحيان يجعل الجانب الذكوري متقدما عن الإناث، في حين أن الإناث يجلسن في الخلف لتفادي الاختلاط[1].

[1] مصطفي حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، د ط ، 1997، ص 152

المبحــث الثــاني: الأخلاق عند إبن باديس

إن مسألة الأخلاق وتحقيق السعادة والفضيلة هي مسألة بالغة الأهمية، لطالما اهتمت المجتمعات بها عبر التاريخ وذلك من أجل تنظيم سلوك الإنسان داخل المجتمع حتى يكون مهيأ بداخله، إلا أن هذه المسألة تختلف من مجتمع إلى أخر كل منهم حسب منطلقه ومعتقده الذي ينتمي إليه وإيديولوجية الدينية، فنظرة المسيحية للأخلاق تختلف عن باقي المجتمعات لأن تعاليم المسيحية تختلف بكثير عن تعاليم الدين الإسلامي، ويظهر من خلال هنا أنه يوجد ارتباط وثيق بين الممارسات الدينية والجانب الأخلاقي، لأن الدين يسعى إلى ضبط النفس، من الأفكار والشهوات الخارجة عنه.

ومن هنا إذا عزلنا بن باديس عن باقي المجتمعات وربطناه بالبيئة الإسلامية فسوف نجده يربط أفكاره ارتباطا كليا بتعاليم الدين الإسلامي الذي هو أيضا يسعى ضبط النفس وفق مبادئ معينة لا يمكن الخروج عنها، حتى يكون الإنسان مهيأ للحياة داخل المجتمع اجتماعيا وروحيا، لأن الإسلام يحمل جانبين للإنسان جانب مادي من خلاله يسعي الفرد إلي تحقيقه من أجل أن يبقى محافظا على حياته من أكل، وشرب، وغذاء، وجانب روحـاني يرتبط بـه الإنسان بربه :" **فالإسلام في روحه عقيدة بناءة منشئة ترتكز على (المادة) كما ترتكز على (الروح) فهو دولة وسيف وكتاب – ثكنة ومسجد – جامعة– وجامع – أرض وسماء– جسد وروح – توكل وعمل – إيمان بالعمل المادي من أجل الدنيا – وإيمان بالعمل الديني من اجل الآخرة – إيمان بالمنطق –**

وإيمان بالغيب"[1] ومن هنا يتضح أن الأخلاق* الإسلامية تنبع أصولها من الوحي الإلهي، ولذلك فهي تستمد منه الطبائع، والصفات، وتجعل من الإنسان أن يتحلى بها، وذلك من أجل تحقيق السعادة والفضيلة التي ترتبط بالدنيا والآخرة.

ولذلك فهو يري أن سبب تدهور المسلمين في أخلاقهم هو تركهم حكمة الدين نتيجة لفساد العقول، والعقيدة الإسلامية ومن ثمة وجه عناية لإصلاح هذا الجانب الهام من المجتمع الجزائري باعتبار أن الأمم التي تتميز بالأخلاق هي الأمم الصالحة لأن إذا صلحت أخلاقهم صلح مجتمعهم، وإذا فسدت أخلاقهم فسدوا[2].

والشيخ يذهب إلى أن مسألة الأخلاق هي مسألة ذاتية تنبع من داخل الفرد، ولذلك يجب تنقية هاته الذات من الشوائب التي لحقت بها من فساد في القلب، وتهذيب النفس، إصلاح العقائد، حتى يعمل الفرد على إصلاح ذاته نفسه بنفسه وتكون هذه الذات حاملة لمبادئ خيرية وتكون ساعية لتغيير الأحوال التي لحقت بها وفق لمبادئها وتدافع عنها[3].

ومن هنا إذا أردنا إصلاح الأخلاق يجب علينا إصلاح الفرد لقوله تعالى:" **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** "[4]. وتتضح ان إشكالية إصلاح الأخلاق في المجتمع الإسلامي أول ما تبتدئ به هو إصلاح الفرد لأن طغيان سلطة الشهوات والأنانية تؤدي إلى فساد المجتمعات وانهيار القيم الإنسانية، التي تدعو إلى المحبة والتكافل في جميع المجالات ونبذ الرذائل وجلب

[1]) تركي رابح، دراسات في التربية الوطنية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص68.

*الأخلاق يعود أصله إلى المصطلح اللاتيني MORALIS و في اللغة يعني جمع خلق و هو العادة السجية و الطبع و المروءة والدين وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم ورؤية و فكر وتكلف فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقا، أنظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د ط ، 1982، ص49.

[2]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 93.

[3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.

الفضائل التي تؤدي بالمصلحة للفرد والمجتمع، لأن الإسلام اعتبر المجتمع مجموعة من الأفراد متماسكة مثل تماسك جسم الإنسان إذا اختل فيه عضو اشتكي العضو الأخر بالسهر والألم والحمى، وهذا يفسر أن الأخلاق التي دعي إليها بن باديس هي فكر متماسك لتكوين بنية أخلاقية متميزة. وهذه الأخلاق يمكن أن يعيش بها الفرد في أي بيئة من الكون لأنها أخلاق كونية أو عالمية مثلما حاول كانط أن يؤسسها في كتابه العقل العملي إلا أن هاته الأخلاق بقت معلقة نتيجة الأضداد المتكونة داخل الفرد والمجتمع من خير وشر، البخل والكرم، العلم والجهل، فالأخلاق الإسلامية استطاعت أن تضبط ذات الإنسان وتجعله حاملا للخير، والكرم، العلم.

كما أن النموذج الأخلاقي في الفكر الإسلامي الإسلامية، والذي أعطته للفرد يمكن أن يكتسبه كل فرد وفق استطاعته وقدراته التي يستطيع أن يعمل بها، فكله يدخل في إطار الأمر بالمعروف والنهي عني المنكر، إن الإسلام اوجب على الإنسان بالنهي الذاتي والخارجي وكذلك الدعوة إلى الله لقوله تعالي:" **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْن عَنِ الْمُنْكَر وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**"[1].

كما أن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام هي أخلاق وسطية لقوله تعالى: " **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ**"[2]. وهي بمثابة الأخلاق التي دعي إليها أرسطو في العصر اليوناني، أو بما يسمي بنظرية الوسط الذهبي لإفراط ولا تفريط، الكرم بين الإسراف

[1]) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 110.
[2]) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 29.

والتقتير، ويمكن أن نقول بأن هذه الأخلاق الهدف منها المحافظة على ذاتية الفرد حتى تصبح هاته الحياة متوازنة داخل المجتمع ماديا ومعنويا.

ومن هنا يمكن ان نقول بأن الأخلاق التي دعي إليها بن باديس تدعوا إلى:" **تبصره الإنسان انه جزء من المجتمع الإنساني، يسعد بسعادته ويشقى بشقائه، حتى يراعي في حكمه مصلحة العامة ويؤثر في مصلحة أمته، ويعتاد إنكار الذات**"[1]. ولما يحس الفرد بأخيه الفرد في السراء والضراء سوف تكون هناك علاقات اجتماعية جيدة .

ومن هنا يكتسب الإنسان جميع الفضائل الفردية مثل أفعال الخير وما يرتبط من أفعال وفضائل كالإيمان والعدل والصدق والإخلاص والمثابرة[2].

إن الأخلاق الإسلامية جاءت لتطهر النفوس من الأفكار السلبية التي لا تليق بتكوين الذات الإنسانية: " **تخليص العرف العام أو العادات والتقاليد مما فيها من خرافات وأباطيل منافية للدين، حتى يكون بدلها عرف عام وصالح أو عادات وتقاليد صالحة تحمل الناس على مراعاة الصالح العام في حكمهم للأشياء**"[3]. ولذلك إذا خلصنا العرف أو الأعراف المغروسة داخل أذهان الفرد والمجتمع، سوف نصل إلى تعاليم أخلاقية صالحة كنشر المبادئ والقيم الصحيحة حتى يكون الفرد مبصرا بها. وكذلك تحاول أن تدرج مكانها الأفكار الحميدة فمبدأ الإسلام في الأخلاق هو:" **تعليم الشعب ونشر الثقافة الصالحة بين أفراده وبخاصة المبادئ الدينية القويمة، حتى تثقف العقول، وتتهذب النفوس وتكون أقدر على وزن الأعمال ومعرفة الصالح منها من غير**

[1]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 54.
[2]) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في جزائر، مرجع سابق، ص287.
[3]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص54.

الصالح"[1]. والعمل على تهذيب الشعور الإنساني لدي الأفراد وتربية الوجدان الراقي لديهم، وتقوية ذاتيتهم حتى يصبح ضميرهم حي ويتمتع بصفات أخلاقية تهتدي بالصفات الحسنة وتزهد الصفات الأخلاقية السلبية[2].

إن ربط الأخلاق بالدين عند بن باديس، لأنه يعتبره من القوي الرئيسة التي تؤثر في الفرد والمجتمع، لذلك فهو الناموس الأول للحياة وما تتوسطها من قيم وأخلاق بداخله ومن هذا الاعتبار فالدين يمثل مصدرا رئيسيا للمحتوي الأخلاقي الذي تبنى عليه الجماعات والأفراد داخل المجتمع، لذلك فالممارسات التي يقوم بها الفرد والمجتمع، يكون مصدرها الدين، كذلك الممارسات الأخلاقية والقيم الاجتماعية المرتبطة بالإنسان سواء كان داخل المجتمع أو داخل أسرته أو في مجتمعه أو بقيمه الخاصة المرتبطة بعمله ونشاطه الفردي تصاغ كلها من الدين وهذا ما يشير أن الدين هو دين استقامة في الحياة ودين نهضة متكاملة البناء ويؤكد ذلك بن باديس بقوله " **الإسلام دين الله الذي شرعه وارتضاه من وصفه بأنه صراط مستقيم فهو تشريع تام عام لجميع أعمال الأنسان أعمال قلبه و أعمال لسانه وأعمال بجوارحه وجميع معاملاته الخاصة و العامة** "[3]. ومن خلال هذا فإن الأخلاق بصورتها الكاملة تعود إلى الدين لأن الحياة مبنية على الدين وهذا الأخير جامع لكل تفاصيل الحياة بجزئياتها وكلياته فهو المادة والروح والحق والعدل والخير والإحسان، والفضيلة الكلية للإنسان

[1]) . تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص54
[2]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]) عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1982، ص 370.

ومن هنا يمكن أن نستخلص أن الأخلاق التي استمدها بن باديس هي فلسفة مستمدة من الدين والعقل الذي لا يتنافى مع الشرع، وكذلك دعي الفرد إلى الاهتداء بالعمل الصالح الذي يعود بنفعه للفرد والمجتمع، وأيضا الاهتداء بالقدوة الحسنة في أعمالهم وتصرفاتهم وأقوالهم وأكبر شخصية يمكن أن نهتدي بها هي شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي حمل للبشرية السعادة والفضيلة وقوانين المدنية العادلة يقول بن باديس " **هل ذلكم الخير الإنساني، وتلكم السعادة البشرية جاءت على يد ساسة أوروبا وزعمائها؟ أم على يد فلاسفتها وحكمائها؟ أم على يد دكاترتها وأساتذة كلياتها؟ كل ذلك والله ما كان ولما يكن ولن يكون، إنما ذلك كله على يد رجل عربي حجازي قرشي، يتيم وأمي** "[1].

[1]) عمر بن البسكري، الشهاب، م15 ، ج5، ص117.

المبحث الثالث: نظرة بن باديس الإستشرافية للفرد .

إن مشروع النهضة عند بن باديس ليس مرتبطا بحقبه تاريخية ما، أو محدودية المكان، بل هو مشروع يمكن وصفه بأنه ذو أبعاد مستقبلية لتكوين نهضة شاملة في جميع ميادين الحياة التي يعيشها الفرد والمجتمع الجزائري وكذلك الإنسان العربي، وما يميز هذا النموذج أنه مبني على فلسفة إسلامية متكاملة تعالج إشكالية النهضة بمعناها الواسع وليس الضيق ومن هذا المنطلق سوف نحدد ملامح مشروع بن باديس الذي يحاول من خلاله تحقيق نهضة دائمة.

إن الهد ف من النهضة عند بن باديس هو تكو ين الفرد، من نواحي الرجولة، والإسلام، والوطنية، والعلم.

الرجولة: إن الرجل الذي يهدف بن باديس إلى تكوينه هو ذلك الرجل الذي يتصف بالقوة المادية والمعنوية ويتصف بالأخلاق الإسلامية، لذلك جعل بن باديس من مشروعه هو تكوينه لأفراد قادرين و متمسكين في أداء واجبهم على أكمل وجه، وجعل بلاده تنتفع به وبعلمه عمله ، فإبن باديس اعتبر الفرد سيدا بيته وقومه[1]. ولكي ينجح المشروع لا بد أن تتأسس هته السيادة على مبادئ صحيحة، تجعل المجتمع قادرا على مواكبة كل التطورات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، لأن المجتمعات تتطور من خلال أفرادها إذا كان أفرادها مخلصين ومحبين لوطنهم سوف يتطور المجتمع بجميع نواحي حياته. وكذلك كان بن باديس مدركا أن الحياة لكي تستقيم لابد لها من مواكبة العصر بالعلم والمعرفة والأخلاق التي كرسها الإسلام.

[1]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 246.

المسلم: إن الهدف من مشروع بن باديس النهضوي هو المحافظة على الإسلام الذي يعتبره مقوم أساسي من مقومات الدولة الجزائرية، بل يتعداه إلى ذلك وجعله عقيدة وعمل في ذات الإنسان ومستقبله لأن الإنسان يعيش في حياته جانب روحي وآخر مادي[1].

كذلك اعتبر بن باديس بأن الإسلام يستطيع أن يقود الإنسان إلى مواكبة العصر وتطوره، لأنه حامل لكل مواصفات الحضارة من تمدن وعلم و حضارة يقول بن باديس :" **إن الإسلام عقد إجتماعي عام فيه ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي حياته لسعادته ورقيه و تقدمه** "[2].

ويشير هذا القول أن بن باديس اعتبر الإسلام هو الذي يستطيع أن يجعل الأمة محافظة على كل مقوماتها وتطورها في جميع ميادين الحياة، الحاضر والمستقبل، لذلك فهو شبكة من المبادئ والقيم والممارسات تهدف إلى تحقيق أهداف طويلة المدى تكون من خلالها المحافظة على حياة الأفراد في دينهم ودنياهم .

كما أن مشروع بن باديس هدفه تكوين أفراد يحتكمون إلى القرآن والسنة النبوية من خلال القول والعمل، حتى يستطيعوا المساهمة في نقل المعرفة إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم ومن ثم يصبح المجتمع محافظا على مقوماته التي ينتمي اليها.

ومن بين الأسباب التي تجعل سيرورة الحضارة وقيامها هي صفاء الفكرة ومدى ديمومتها داخل المجتمع فيري مثلا مالك بن نبي أن الدين في الطور الثاني من الحضارة يمثل عاملا قويا في ازدهار الحضارة فكلما كانت الفكرة الدينية في صفوة ونقاء كانت الحضارة قوية، كذلك هذا ما

[1]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 247.
[2]) بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج8، م 12، ص 357.

يهدف إليه بن باديس هو جعل الحياة تتمتع بالفكرة الدينية الصافية في الحاضر والمستقبل وذلك من خلال تعليم المبادئ الدينية الصحيحة للأفراد حتى يصبحوا مدركين بين القول والفعل .

الوطـــــن : كذلك من بين المسائل التي طرحها بن باديس الجزائر وكيفية المحافظة عليها وعلى مستقبلها، وتكوين أفراد متمسكين بحاضـرهم ومتطلعين بآمال مستقبلهم، فمن يتمتع بهذه الصفات فذلك هو الإنسان الجزائري في نظره، فلا شرف لمن لم يحافظ على وطنه[1].

فالنسبة ما يهدف إليه بن باديس للوطن هو تكوين أفراد وطنيين ومحافظين على انتمائهم وعلى شرف بلادهم وسمعته، فلا شرف لمن لم يحافظ على هاته المبادئ التي تجعل الوطن متمسكا بعاداته وتاريخه ومستقبله، الذي لا يمكن أن يسير إلا وفق هذه المبادئ، فالوطن لكي يتقدم يجب أن يبنى على المبادئ الإسلامية والعربية التي تعتبر من مميزات المجتمع وإذا تخلى عن هذه المبادئ فسوف ينهار الوطن وتنهار مقوماته الرئيسية.

العلم : إن البشرية من دون علم مثل الطائر الذي يعيش حياة بدون ريش فإن خاصيته سوف تتعطل عن الطيران، كذلك الفرد وهذا يوضح قيمة العلم في المجتمع، فالمجتمعات التي تتميز بالعلم هي من يمكنها أن تحلق بعيدا في الحياة، وقد أدرك بن باديس لا سبيل لتحقيق التقدم إلا من خلال العلم حيث كان شغله الشاغل تكوين أفراد قادرين و مسؤولون ومكلفون في أداء الأمانة وصيانتها على أكمل وجه يقول بن باديس " **إن العلم أمانة عند العلماء وهم مكلفون بأدائها**

[1]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 247.

لمستحقيها وليس العلم ملكا لمن يستغلونه فيكتمونه إن رأوا الكتمان أوفوا بمصالحهم الشخصية وينشرون منه ما لا يصادم أهواء العامة "[1].

وذلك أن العالم لديه مسؤولية وليس تكليف من أجل طلب مكانة داخل المجتمع، فالهدف من العلم تحقيق رسالة نحو المستقبل لكن هذه الرسالة لا بد أن تؤدي من طرف مستحقيها، إن من مسؤولية العالم المسلم أن يدرس الكون ويتأمل في أسراره ويساهم في إنتاج المعرفة حتى ترتقي أمته إلى مصاف الدول المتقدمة ويشارك العالم في تحقيق الرفاهية والسعادة وخدمة الإنسانية التي لا يمكن لها أن تعترف إلا بمن يخدمها، ومن هنا فإن مسؤولية العالم عند بن باديس هو بعث النهضة والتقدم في نفوس المسلمين وكل ما يجب فعله وتركه حسب تطورات التي تحدث خلال كل فترة، وكذلك تربية الأبناء بالقدوة الحسنة [2].

[1]) عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 195.
[2]) ابراهيم نواري، مرجع سابق ص 127.

الفصل الثالث: إصلاح المجتمع عند بن باديس

المبحث الأول: مقومات الهوية الوطنية في الفكر الباديسي

المبحث الثاني: إصلاح العقيدة

1 موقفه من الصوفية

2 معالم العقيد ة الصحيحة في نضره

المبحث الثالث: موقفة من الاستعمار

المبحث الرابع: نقد المنهج الإصلاحي عند عبد الحميد بن باديس

المبحث الأول: مقومات الهوية الوطنية

ما من شعب يعيش في وطن معين إلا وتربطه مقومات يشترك فيها مع مجتمعه فاللغة التي يعبر بها الأفراد في المجتمع تمثل انتماء، والممارسات والشعائر الدينية التي تمارسها المجتمعات هي أيضا رمزا لهوية مجتمع ما، فالوطن الذي يقطنه مجموعة من الأفراد وله حدود جغرافية يعبر عن هوية مجتمع، يقول بن باديس:" **تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاتها كالشائن في الأفراد، فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات والمميزات، وهذه المقومات والمميزات، هي اللغة التي يعبر بها ويستأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني بها حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في المقومات والمميزات** "[1]. ويشير هنا بن باديس ما من أمة تعيش على وجه الأرض وهي لا تمتلك هذه المقومات الرئيسية التي يشترك فيها الأفراد ولكي تنهض الأمة وتصبح رائدة بين الأمم يجب عليها ألا تحتقر هذه المقومات، لأن الاستهانة بها يؤدي إلى خمول في الشعور الجمعي والفردي، الذي تنتمي إليه الأفراد، وبذلك تنهار الأمة وتصبح محتقرة ذاتيا وجماعيا ولذلك يقول في خطابه:" **إن الأمم تنهض بنهضتها من خلال المحافظة على مميزات الشخصية** "[2]. وكي تنهض الأمم يجب عليها أن ترفع منِ شأنها من خلال المحافظة على مقوماتها، وإذا كانت المجتمعات بجميع ألوانها وأطيافها تحكمها مقومات ومميزات وتعيش عليها.

[1]) بن باديس، الشهاب، ج12، م12، مصدر سابق، ص 514.
[2]) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

فما هي ثوابت الهوية الوطني في نظر بن باديس؟

أ. الإســـــــلام: إن الإسلام الذي تدعو إليه جمعية علماء المسلمين وبن باديس يمثل مقوم أساسي من مقومات الدولة الجزائرية، وتراه طريقا حقيقيا لنجاة الأمة وخلاصها من أوضاعها المتردية وهو الإسلام الإيجابي الذي لا يقبل الأفكار السلبية والجمود الفكري، والاستسلام والكسل واليأس، بل يتعداه ويحاربه ويحارب كل أشكال الاضطهاد والجهل وأفكار الانحطاط، ويدعو إلى تحفيز النفوس، ونبذ الجمود والفساد الاجتماعي الذي يعيق سير الحياة إلى التقدم والازدهار في الحياة من جميع جوانبها [1].

وهذا يمثل الجانب الحقيقي للإسلام كما تصوره بن باديس الدين الذي يوجد فيه كل أشكال التمدن، والتدبر، والتفكير، وليس التقليد الأعمى الذي يدعو إلى" اعتقد ولا تنقد " ولذلك يميز بن باديس بين نوعين من مناهج الإسلام.

1 الإسلام الوراثي المبني على التقليد الأعمى:

ليس كل عملا يقوم الفرد أو المجتمع المسلم ينطوي تحت تعاليم ومبادئ الدين الصحيح قد يقوم المرء بأفعال خارجة عن الإسلام وهو في بيئة إسلامية وينتمي إلى الدين الإسلامي في اعتقاده، وأنه ذو مبادئ دينية صحيحة وغير خارجة عن تعاليم الدين وأوامره التي أمر بها.

يقول بن باديس:" **يولد المرء من أبوين مسلمين فيعد مسلما، فيشب ويكتهل ويشيخ وهو يعد من المسلمين، تجرى على لسانه وقلبه كلمات الإسلام ... ولو تنسبه لغير الإسلام لرأيت منه**

[1]) إبراهيم نواري، مرجع سابق، ص 88.

وثار عليك أو بطش منك، ولكنه لم يتعلم من الإسلام شيء"[1]. فهذا الإسلام لا يمثل إسلاما حقيقيا ولا يرتبط بمعناه في شيء، ولا يعبر عن مقومات الدولة الجزائرية فهو يحمل إلا الجهل والبدع والخرافات، فأصحابه يتلقون أفكار عن جهل، ويقومون بها عن جهل وبتعصب ويقول أيضا: " **فهذا الإسلام وراثـــي تقليدي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير إنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء ومحبة أهله للإسلام هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان** "[2]. إذا هذا الإسلام بهذا المعنى إسلام سلبي لا يحمل سوى الصفات النقص، لذلك كافحه بن باديس لأنه يحمل اعتقادات عملية خاطئة، مثل ممارسة بعض الطقوس والتضرع لغير الله، وتصرفات أخرى مثل الذبح لغير الله، وأخلاق لا تليق بالإسلام، زيادة عن هذا يكون صاحبه متمسكا به غاية التمسك وبالرغم ما يحمله من بهتان وكفر، والغريب في هذا الإسلام أننا نجد فيه شخصيات متعقلة وهي تميل إلى مثل هذه الاعتقادات، وهي تعتقد نفسها أنها على الطريق الصحيح.

2 الإسلام الذاتي : أما هذا الإسلام فهو يعبر عن روح العصبية الدينية الصحيحة، ومدي وعيها، وتمسكها، ونضوجها الثقافي، فهذا الإسلام مقوم رئيسي للدولة في نظر بن باديس وهو الذي ينهض بالشعوب والمجتمعات لأنه مبني على التأمل والتفكير العلمي والمبادئ الدينية الصحيحة : " **أما الإسلام الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله ويتفقه حسب طاقته في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبني ذلك**

[1]) بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج3 ، م14 ، ص 119.
[2]) المصدر نفسه، ص 120.

على الفكر والنظر فيفرق بين ما هو ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حيات فكر وإيمان "[1]. إذا فالإسلام الذاتي هو إسلام إيجابي يدعو إلى التغيير وإحداث ثورات اجتماعية ونهضة حضارية شاملة بأبعادها ويمكنها أن تجعل الفرد سعيدا، لأن نهضته تتميز بالعلم والإيمان الصحيح، فالشعور بهذا الإسلام سوف يجر ذاتية الفرد والمجتمع إلي إصلاح الحياة بأكملها، فالإسلام بطبعه دين حامل لكل الأفكار والمناهج العلمية التي يمكنها أن تواكب الأحداث والتغيرات، فإن الإسلام الإيجابي شهد عصرا تنويريا لم يشهد التاريخ له مثيل من قبل.

فبهذه الأفكار والتصورات للإسلام الإيجابي سعت جمعية علماء وبشيخها عبد الحميد بن باديس إلى تكوينه، لأنها رأت أن سبب تخلف المجتمع يعود إلى البدع والخرافات والجهل التي انتقلت للمجتمع عن طريق الوراثة، لذلك فالإسلام الذاتي هو الذي يعبر عن هوية المجتمع الجزائري.

ب . العـــــــربـــــية:

إن لكل أمة هوية مرتبطة بثقافتها، والثقافة مرتبطة بالفرد لكونه جزء من المجتمع، ولكي تكون هناك ثقافة للحضارة، لا بد من وسيلة لإيصالها، وتكون هذه الوسيلة عن طريق اللغة، إذا فاللغة العربية تمثل لغة الحضارة والثقافة، إلا أن هذه اللغة رغم التحديات الذي تواجهها من الحملات الصليبية والاستشرافية التي حاولت أن تطعن في اللغة العربية لغة القرآن، ورغم هاته الصعوبات فهي ستبقى حية لأنها لغة الوحي لقوله تعالـــى " **إنا نحـــن نزلنا الذكر وإنا لــه لحافظون** "[2].

[1]) بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ص ص120 121.
[2]) القرآن الكريم، سورة الحجر، الاية 9.

لذلك فاللغة العربية تمثل ارقي لغات العالم والإنسانية جمعاء، لأنها تحمل مواصفات الحضارة المتفتحة والراقية، ولما كانت اللغة العربية بهذا الشكل، فكانت مقوم رئيسي من مقومات الهوية الوطنية.

كما أن بن باديس لا ينكر الأصل الأمازيغي الذين يمثلون سكان الجزائر الأصليين والذين كانوا يقطنون بها، إلا أن التاريخ شهد فتح العرب لبلاد الجزائر خلال الفترة من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، وحملوا إليها الدين الإسلامي والثقافة واللغة العربية، ومن خلال تفتح الشعوب العربية استطاعوا أن يحدثوا توليفة بين العرب الفاتحين والامازيغ السكان الأصليين، ومن خلال المعايشة أصبح العرب والأمازيغ يعيشون مع بعضهم البعض وبالمصاهرة اختلطت الأجناس، وتعربت بعض الفئات الأمازغية، ودخلوا للإسلام، إن هذا المنطلق لا ينكره بن باديس بل كان موضوعيا [1] .

لكن عندما دخلت فرنسا للجزائر وأصبح الاستعمار يهدد هذا المقوم الذي يمثل اللغة العربية ظل مدافعا عنها لأنها تمثل لغة القرآن ولسان المجتمع الجزائري ولذلك قال بن باديس قولته المشهورة :

شعب الجزائر مسلما * وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله * أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له * رام المحال من الطلب

[1]) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 223.

هذا لـــــــــــكم عهـــدي بـــه* حـــــــتى أوســـد في الترب

فإذا هـــــــــلكت فصيـــــــحتي* تحـــــــــــيا الجزائر والعــرب[1].

فهذه الأبيات تشير أن بن باديس يهتم بالثقافة العربية للمجتمع الجزائري، ومكرس كل نضالاته وحياته حول إحيائها، واعتبر بن بـــاديس أن الجزائر هي الإسلام هي العروبة بكل ميراثها الثقافي وما تحمله من مميزات ويقول البشــير الإبراهيمي في حديث له مبادئ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: " **إن جمعيتكم أسست لغايتين شريفتين في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن لا تساويهما مكان وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية** " [2]. وهذا يبين مكانة اللغة العربية داخل الوسط الإصلاحي السلفي لدي جمعية العلماء المسلمين، فمجد الأمة يتحقق بقدر محافظتها على اللغة العربية، وعلى العقيدة الإسلامية التي تمثل الجانب الروحي والانضباطي للمجتمع.

ومن خلال هذا يتضح مكانة اللـغة العربية التي تعبر عن قومية المجـتمع الجزائري وارتباطه بالدين الإسلامي، ولذلك فإن احتقار اللغة العربية يعنـي احتقار الدين الإسلامي لأن الأمـة التي لا تهتدي إلى لغتهـا وتـاريخهـا يمكن أن ندرجـها في عــداد الأمـــوات، والدليل على ذلك ما يقع فيه المجتمع من انفصال في الهوية يعود إلى ابتعاده عن مقوماته.

[1]) نقلا عن، تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 145.
[2]) البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي (1929-1940)، ج 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص ص 133 134.

وخاصة اللغة التي تعبر عن الفكر، فعزوف المجتمع وعدم تفقهه في لغته، وارتباطه باللغة الأجنبية، يمثل استعمار بحد ذاته. فإن اللغة الفرنسية رغم استقلال الجزائر، وبعد زمن طويل لليوم بقت هناك بعض الفئات تعبر باللغة الفرنسية ، فإحساس أي إنسان لهم ولو كان من بلد أجنبية أخري، فيمكن أن يدرج أصولهم مع لغتهم التي يعبرون بها، إلا أن إحساس الإنسان العربي يمكن أن يفسره استعمار .

ج . الـــــــــــــــوطن:

إن إشكالية الوطن وتحقيق المواطنة من أبرز الإشكاليات التي نادي بها الفلاسفة والتي تهدف إليها الشعوب، فالوطن الذي تجتمع به الشعوب، وتمارس فيه نضمه الدينية والثقافية، هو جزء من مقومات عناصر الهوية الوطنية، ففقدان الشعور بالوطن يؤدي بالضرورة إلى محو الشخصية الوطنية، وتصبح تعيش في اغتراب، فالوطن يجمع بين ماضي المجتمع وحاضر الأمة ومستقبلها، لأن لقيام أي حضارة لا بد لها من عصبية مادية والتي تمثلها الأرض، ويشهد التاريخ أن جل الحضارات أسست موطنها بالقرب من الأنهار و من ثم تقوي نفسها و تصبح لها سيادة، وتصبح تعمل على تقوية عصبياتها الأخرى.[1]

[1]) إبراهيم نواري، مرجع سابق، ص 95.

ولما كان الوطن يجمع بين المجتمع ويحدد حاضره ومستقبله جعل بن باديس شغله الشاغل في خدمة هذا الوطن، والعمل على تربية الوطنية في نفوس الناشئة أمر ضروري، لأنها تعزز شعور الفرد وخضوعه إلى مجتمعه[1].

وإذا تعزز شعور الفرد تجاه وطنه يصبح محبا له ومدافعا عن انتمائه إليه، ويعمل على المحافظة عليه وعلى تقدمه ورقيه، وهذا مبدأ أساسي في نفسية بن باديس ولا يمكن الاستهانة به ويقول بن باديس في سؤال له: **لمن أعيش؟ " أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل وبوجه خاص وتفرض على تلك الروابط لأجله كجزء منه فروضا خاصة، وأشعر بأن كل مقوّماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة** "[2]. ومن خلال النظرة التي تتضح عند بن باديس فإن الوطن هو بمثابة جنس واحد، قوته تتحقق بقوة أطرافه المتمسكة من خلاله، وأن تخلفه يعود إلى ضعف أطرافه، ولكي يتفادى الإنسان هذا الضعف لا بد أن تكون الحياة داخل الوطن تتأسس على الشعور الداخلي، ويكون هذا الشعور متصل بالذوات الأخرى، حتى يكون شعور بالذات متأسّس على الغير، وان نجاح الذات الإنسانية تمثل نجاح للوطن والغير، لأن عمل الإنسان لا بد أن يتصل بالوطن وهذا الوطن لا بد أن تكون فيه أفراد تعمل لأجله من جميع الجوانب يقول بن باديس :" **كذلك أجد أني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه**

[1]) المرجع نفسه، ص 95.
[2]) بن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج 10، م 12، ص 427.

وهكذا أجد الاتصال المباشر بيني وبين وطني "[1]. وهذا يوضح أن الوطن لكي يكون ناجحا ورائدا بين المجتمعات لا بد له من إخلاص، لأن هذا الأخير يزيل كل المشاكل الدنيوية وبه تتم الوطنية، لأن حب الوطن في الإسلام يمثل جانب إيماني.

كذلك يعتبر بن باديس أن العامل الجغرافي لا يقل أهمية من المقومات الأخرى، اللغة، الثقافة، والدين ومن هنا لا بد للمجتمع وخاصة الناشئين أن يتعلموا عن وطنهم الجغرافيا لأن من السذاجة أن ننتظر أبناء يحبون وطنهم وهم لا يعرفون عنه شيء وذلك لما علمت فرنسا أن محو المقومات من أذهان المجتمع سوف يقلل من حدة الصراع، فحاولت أن تنشأ مجتمع غير وطني، من خلال تغيير المناهج التربوية وإزالة منها مادة التاريخ والجغرافيا لأن ذلك سوف يعزل المجتمع عن وطنيته ويصبح المجتمع في عداد الأموات[2].

كما أن الإسلام يشير أن الوطن مقدس للمجتمع، ويجب الدفاع عنه بما يستطيع الإنسان لأنه أعظم نعمة أعطاها الله للإنسان قبل الرزق والأمن لقوله تعالى: " **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**"[3]. فالوطن الذي لا يحمل الأمن فهو محروم من نعمة كبيرة من نعم الله، لكي يكون هناك وطن آمن لابد من تضحية، وهي المحافظة على مقوماته، ومن أجل أن يعيش المجتمع في أمن وسلام جعل بن باديس كل تضحياته من أجل وطنه، لأن مراده العيش للجزائر وفقط، لكن تعد هذا ودافع عنه من كيد الاستعمار الذي هدم كل مقومات المجتمع الجزائري،

[1]) المصدر نفسه، ص 427.
[2]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص ص 177 178.
[3]) القرآن الكريم، سورة قريش، الآية 4.

واستعمرها ماديا، ولما كان الاستعمار يعمل وفق هذه المبادئ حاربه بشدة ورفض كل سياساته، وصخر نفسه لإحياء مبادئ الهوية، ولو ألزم ذلك حياته.

المبحث الثاني: نظرة بن باديس للعقيدة:

1- نقد بن باديس للطرق الصوفية

من بين الدوافع التي جعلت المفكرين يعالجون إشكالية النهضة في الوطن العربي، هي الإصلاح في الجانب الديني والعقائدي، حيث عرفت الأمة الإسلامية انتكاسة كبيرة في هذا المجال الروحي، كما عرف الإنسان العربي ممارسات وطقوس غريبة تمس الجانب الديني، من بدع وخرافات التي لا تتصل بالإسلام حيث يقول علي المحافظة :" **كانت ردود الفعل الأولى لدى المفكرين العرب على مظاهر الضعف والفساد والانحلال التي أصابت المجتمع كلها ردود دينية، إن ما علق بالإسلام من بدع وضلالات وما نشأ في ضلالة من طرق صوفية* اعتمد المبالغة والتطرف ...**"[1] .إن انحطاط المجتمع يعود في سببه إلى الجانب الديني، الذي انتشرت به بعض الأمراض كالشرك و الطرق الصوفية التي امتازت بابتعادها عن الدين من خلال الممارسات اللادينية، مثل الولاء، و الدعاء لغير الله، و الكرامات .

* التصوف: مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى صوفي، أو هم فرقة من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة لعهد النبي، أو هم من الصف الأول في الصلاة، أو هم من قبيلة بني صوفة، أنضر ماسنيون ومصطفي عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، د م، ط 1، 1984، ص 25.

[1]) علي المحافظة، مرجع سابق، ص 37.

* **العلوية:** التي يرأسها الشيخ محمد بن علوه في مستغانم وهي طائفة متشعبة عن الدرقاوية ولها صحيفة تعبر عن معارضتها لا بن باديس، **الدرقاوية:** يرأسها غلام الله في مدينة تيارت يدعو صاحبها لإنفاق بين الجزائر و فرنسا، أنضر ابن باديس الآثار، م1، المصدر سابق، ص53، **التجانية:** تتكون من كبار الموظفين والتجار والأغنياء ويعود أصلها من المغرب وإمامها أحمد محمد المختار الذي ولد بقرية عين ماضي1777، وكان شبابه من أتباع الطريقة الشاذلية إلى أن تجاوز السن الأربعين انتهج الطريقة التجانية، أنظر، عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله، نهضة مصر للطباعة والنشر، د م، د ط، د ت، ص77.

إن الجزائر من بين الدول العربية التي شهدت انتكاستين في زمن واحد في المجال الديني والاستعمار، فشهدت ظهور بعض الطوائف* تمارس أفعال لا دينية مثل العلوية الدرقاوية والتجانية التي عرفت آن ذاك بالجهل والبدع والخرافات، إن بن باديس يعتقد أن الصوفية تشكل عائقا في الإصلاح، إذا كان الاستعمار الفرنسي استعمر الأوطان فإن الصوفية استعمرت النفوس وشكلت جانب معه، فهي كانت تنظر إلى أن الاستعمار يدخل في إطار القضاء والقدر وبالتالي لا يمكن محاربته أو التمرد عليه فهو أمر رباني في اعتقادهم، ومن ثم أصبحت فكرة الاستعمار مرحب بها عندهم، وبهذا نشأت فكرة القابلية للاستعمار كما يقول مالك بن نبي :" **لكيلا نكون مستعمرين يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار**"[1] . فرؤية بن نبي لهذا الإنسان الذي لا يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله لا يمكن أن يتحرر، لأنه منحط ذاتيا بأفكار غريبة، فهذه هي صفات الإنسان ما بعد الموحدين، لذلك يميز بن نبي بين نوعين من المجتمعات ما قبل الموحدين وما بعد الموحدين، فالإنسان ما قبل هذا الزمن كان يعيش في حضارة وعطاء نتيجة لصفاء الفكرة الدينية، وبعدما لحقها من لبس تغير هذا المجتمع و أصبح يعيش في حياة جهل وخرافة وبدع وضلالات.

ويرى بن باديس أن الصوفية من الابتلاءات التي أصابت الأمة الجزائرية فقد كانت سببا في نشر البدع والضلالات التي أحدثوها في الدين الإسلامي، وكانت سببا في رضوخ المجتمع للمستعمر وقوانينهم ضد بلادهم[2].

[1]) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، د ط، 1982، ص 9.
[2]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 140.

إن الصوفية بهذه الصفات تمثل استعمار معنوي لأنها هدمت الأخلاق والدين والتربية الإسلامية فالإنسان الذي يتوسل لغير الله، فهو مشرك، فالمعبود واحد وليس اثنان لقوله تعالى:" **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** "[1]. لذلك لا يجوز التضرع لغير الله، من يدعو، يدعو الله الحي الذي لا يفنا وليس الإنسان المخلوق الميت المحدود الأجل، فالخالق هو المحرك القادر والصانع في الكون، يقول البشير الإبراهيمي أن هاته الطرق انتهجت طريقا خاصا في المنهج غير المنهج القرآني: " **بل يبلغ الغلو ببعضهم كالتجانية أن لا يصلوا خلفه ولا يصاهروه، وتسمعهم يريدون الإحسان وهم لا يريدون الإحسان الذي دعي إليه القرآن وعندهم حق الشيخ قبل حق الزوج والأولاد، والآباء، والأجداد وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير ... وكل هذا تجدهم يقدسون ميتم وتشاد عليه القباب ويلتمسون ويتذرعون إليه** "[2]. إن هذه الممارسات توضع مدي الروح التي تتصف بها الطرق الصوفية من خلال تمجيد وتعظيم صاحب الطريقة هناك وتدرجه في مرتبة الأنبياء، ولذلك فإن كل ما يقوم به فهو فعل مبارك وطاهر من ثمة يتجلي تعظيمه والتبرك إليه والطلب بأن يقضي لهم حوائجهم الدنيوية، ومن خلال هذه الأفعال تكون الطريقة قد انتهجت طريقا خاصا في التفكير أصبحوا يتدبرون في الدين عن عاطفة وراثية ومن بين الأقوال الممارسات التي كانت تتعامل بها بعض الطرقية وانتقدها بـن باديـــس نتيجة لجـهلـهم هي اعتقادهم:

أن صلاة الفاتح أفضل من تلاوة القرآن بستة آلاف مرة.

[1]) القرآن الكريم، سورة الإخلاص، الآية 1.
[2]) البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة جمعية علماء المسلمين، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط 1، 2008، ص ص 41 42.

أن صلاة الفاتح أفضل من كلام الله ولا يترتب عليها ثوابها إلا من اعتقد بذلك.

أن صلاة الفاتح علمها النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب الطريقة وحده.

أن صاحب الطريقة أفضل الأولياء.

أن من انتسب إلى الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه الصغار والكبار والتبعات[1].

فكان موقف ابن باديس من هذه الأفكار موقف الإنسان الناقد والرافض نتيجة لاعتقادهم أن القرآن كلام الله وصلاة الفاتح من كلام مخلوق وبالتالي فهي أفضل من القرآن، ومن اعتقد أن كلام مخلوق أفضل من كلام الخالق فهذا يعتبر كفر وبهتان في حق كلام الله المنزل والمحفوظ[2]. إن ما يوحي بهذه الأفكار لدى الصوفية هو انحراف عن الدين وتقديسهم لبعض الأمور جعلتهم يتعصبون كل التعصب في ملتهم التي توارثوها عن جهل ودون دراية بها، وبالتالي فهي تقتل روح الإسلام وروح التوحيد والدعوى إلى الله، وكذلك حاولت اغتيال بعض السنيين أمثال بن باديس يشير الطيب العقبي في حديثه أن بن باديس تعرض لبعض المضايقات من الطريقة الصوفية وهناك انه تعرض لبعض الاغتيالات، إن ما يحيل لهذه الأمور هو أن الطرقيين لا يحبون التطرق إليهم في دعوتهم فيعتقدون أنهم على صحة من أمرهم، وهم خارجين كل الخروج عن تعاليم الدينية الصحيحة التي تتبع القرآن والسنة، التي تنفي بعض اعتقاداتهم إذا كانوا مسلمين فالقرآن يقول أن العبادة تكون لله وحده، دون غيره يقول تعالى في ذلك:" **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ**

[1]) إبن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج 7، م 14، ص 57.
[2]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"[1]. فهذه الآية تنفي كل معتقد في نظر الصوفية لمن يشرك بأمر الله، إلا لمن أراد أن يخالف ذلك الأمر، وإن كانت هناك مخالفة في هذا الأمر فهذا يرجع إلى التهور في الأمور الدينية التي يعتقدونها، فمن يعتقد أن صاحب الطريقة هو ولي فهذا مشرك.

وهذه المخاطر تمثل استعمار بمعنى الكلمة فكان سببه مشايخ الطرق، الذين أثروا في المجتمع، والمتعاونون مع الاستعمار، مما أدى إلى إطالة أمد الحرب حتى أصبح الشعب يتألم ولا يبوح بالشكوى[2]، فالاستعمار لا يمكن مواجهته إلا من خلال تصفية هذه الاعتقادات الدينية التي شوهته، فهو بمثابة مرض أصاب الأمة، فكانت أعراضه اليأس والخمول والتواكل والشرك وزيادة عن ذلك ارتباطه بالاستعمار.

2 معالم العقيدة الصحيحة في نظر بن باديس

اعتقد بن باديس لا يمكن الخروج من هذا المأزق إلا من خلال إرجاع الدين إلى طريقه الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح، ولكي نعالج إشكالية الاستعمار المادي يجب علينا تنقية أنفسنا من الشوائب التي لحقت به وصارت تعيق المسار التقدمي للأمة فإصلاح الدين نقطة أساسية انطلق منها مجموعة من المفكرين أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد بن عبد الوهاب، فكلهم اعتقدوا أن الإصلاح المجتمع مرتبط بإصلاح عقيدته الدينية، من خلال غربلته من البدع والخرافات

[1]) القرآن الكريم، المؤمنون، الآية 117.
[2]) تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص144.

والشرك والعيش تحت الأوهام والأساطير الدينية مثل الكرامات التي يمتلكها شيخ الطريقة. ويمكن رسم المعالم الدينية الصحيحة في منهج بن باديس السلفي في:

توحيد الله في ذاته وصفاته، وانه هو الوحيد القادر على كل شيء دون غيره لقوله تعالي:" **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** "[1]. إن الاحتكام لغير الخالق فهو شرك، لذلك يجب الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية دون المخالفة فيهما فهما يمثلان مصادر التشريع الإسلامي[2]. فمن يعتقد أن هناك إنسان ينفع ويقضي حاجيات الناس من دون الله فهو مرتد عن المولى سبحانه وتعالى لو كان العبد ينفع لنفع نفسه وخلص نفسه من الموت والمرض.

الإيمان بأن النصوص النقلية من الكتاب والسنة تستقل بإثبات العقائد.

اعتقاد أن الصحابة أعلم الناس بعد رسول الله، لذلك فأقوالهم حجة.

أنه لا يوجد تعارض صريح بين النقل والعقل الصريح وعند توهم وجود التعارض بينهما فيجب احتكام إلى النقل وتقديمه عن العقل. فهذا النقل لا يهدم ولا ينفيه بل دعا النظر والتدبر من أجل معرفة أسرار الكون ونظامه، وكذلك إن الشرع عندما رأى الزمان متغير والحياة في تقدم دعا إلى إستخدام العقل من أجل القياس، الإيمان بالله والملائكة والرسل والآخرة.

الإيمان بالقضاء والقدر. محاربة البدع وأصحابها الذين يريدون إفساد الدين الإسلامي حتى يصبح الفرد في بيئة تتضارب فيها الآراء"[3].

---

[1]) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 62.

[2]) مركز البحوث والدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد إبن باديس، مجلة البيان، الرياض، د ط، 1435هـ، ص 95.

[3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: موقف بن باديس من الاستعمار.

إن السبب الذي يلي تخلف المجتمع بعد الصوفية، التي عرفت ببعض الاعتقادات الغير لائقة بتعاليم الإسلام، يأتي الاستعمار المادي الذي يمثله الاحتلال الفرنسي، فإذا كانت الصوفية احتلت النفوس فالاستعمار إحتل الأرض بما فيها من موجودات، كما سعى إلى تدميرها كليا ونهبها حتى تصبح تحت سلطته، وبالتالي يصبح المجتمع مهضوم لكل ما يمتلك من حياة.

كان موقف بن باديس من هذا الاستعمار المادي موقف سلبي، اعتبر بن باديس أن الجمود الفكري يعود إلى الاستعمار الذي سلط على المجتمع عدة سياسات من يبنها التجهيل والتفقير، التي أثرت في الواقع الاجتماعي وقللت من حريته في الحياة فأصبح الإنسان الجزائري يعيش تحت قوانين وممارسات وهو غير مرغوب فيها، لذلك جعل بن باديس أن استقلال المجتمع ونيله الحرية أمر أساسي، ونقطة أساسية في فكره فعنده حرية المجتمع حق طبيعي في الكون لا بد من نيله يقول بن باديس: " **حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة ومقدار ما عنده من حياة عنده من حرية، المعتدي عليه في شيء من حريته المعتدي عليه في شيء من حياتــه** "[1]. ومن خلال هذه النظرة يعتبر حرية المجتمع من الاستعمار أمر أساسي، لأن العيش تحت سلطـة الاستعمار سوف يؤدي بالضرورة إلى محو كل المقومات التي ينتمي إليها المجتمع والتي تشكل نقطة أساسية في فكر بن باديس، ولكي يتجاوز الإنسان هذه المشكلة عليه أن يبتعد عن خضوعه للاستعمار.

[1]) إبن باديس، الشهاب، مصدر سابق، ج 8 م 12، ص 357.

إن جهاد بن باديس تجاه الاستعمار شهدت نوع من تضارب في الآراء، فكان يعبر ببعض الآراء قد تشير في بعض الأحيان أنه خائف من السلطات الفرنسية فهو كان يشير في بعض حديثه بأن سعادة الأمة الجزائرية تتحقق من خلال مساندتها لفرنسا التي تعتبر مبعثا لديمقراطية، ولكن المقصود من هذه التصريحات أو ما يمثلها، انه كان يريد التستر وراء أقواله حتى يتسنى لمنهجه وحركته الوليدة الاكتمال وتحقيق مرادها يقول تركي رابح :" **يقول كلاما تبدو فيه رائحة التعاون مع السلطات الاحتلال مثلا ولكنه إنما يقوله كي يداري سلطات الاحتلال فقط من باب التقية** "[1] فكان هذا المراد من فلسفة بن باديس الانزياحية .

إن من بين الآراء التي ذكرت عن بن باديس وجمعية العلماء المسلمين لم يكن لهم موقف شجاعا من الثورة واندلاعها فقد كان متخاذلا من الآراء التي توضح ذلك هي قول احدهم:" **إن الجمعية لم تصفق لثورة بل بعضها قادها التحالف مع مصالي الحاج عدوهم الألد من أجل إنشاء التجمع الشعبي الجزائري وكان الاتفاق بينهم على أن تحل أحزابهم بما في ذلك حزب البيان** "[2]. وهناك من يعتقد أن موقف الجمعية نتيجة لقوانين الجمعية التي لا تهتم بالأمور السياسية فكان تهتم بالعمل الإصلاحي والتثقيفي والتهذيبي.

رغم كل هذا لا ينفي جهاده ضد الاستعمار إن ما كان يقول بن باديس كان من باب تحقيق مصلحته حتى يكتمل منهجه ويبني قاعدة ثورية صلبة، حتى أنه نجد في بعض الأحيان تغيرت

[1]) تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 137.
[2]) رياض الصيداوي، لماذا تخلفت جمعية العلماء وبقية الأحزاب من مساندة الثورة، الحوار المتمدن، العدد 14-07-2008.

كل أقاويله تجاه الاستعمار، فشهدت تصاعد في حدة خطابه وموقفه من الاستعمار ومصرحا رفضه التام للاستعمار معتبرا إياه أسباب انحطاط المجتمع ، وبالتالي يستلزم محاربته بكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية حتى تعيش الجزائر وتنال مرادها من حياة وحريــة يقول بن باديس: " **إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي امة بعيدة كل البعد عن فرنسا ، في لغتها وفي أخلاقها وعنصرها ودينها ولا تريد أن تندمج ولها وطن معين وهو الجزائر**"[1].

ومن خلال هنا يتبين محاربة بن باديس للاستعمار وبكل أشكاله، ومعبرا عن هوية المجتمع التي لا يمكن التنازل عنها.

وقد تشير بعض الآراء التي تعبر عن ثورية بن باديس انه عندما سافر مع لجنة وطنية لمناقشة قانون الذي يصرح بفصل الدين عن الدولة قال له أحد الضباط الفرنسيين لكي يخيفه إن لدي فرنسا مدافع طويلة فكان جوابه إذا كانت لديكم هذه المدافع فنحن لدينا مدافع الله التي لا ترد ولا تهزم[2]. وهذا يعبر عن كرهه التام للاستعمار وحقده له.

من خلال هذه الأفكار التي يعتبرها بن باديس إن الحرية حق طبيعي لكل إنسان وكذلك الاستقلال أمر طبيعي لا بد من تحقيقه بما أتيح من قوة فإذا كانت النفوس مجهزة بالإيمان لا يمكن أن تخيفها المدافع قد شهد الإسلام ذلك من خلال قوله تعالى:" **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**

[1]) نقلا عن، محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، ط1983،1، ص23.
[2]) المرجع نفسه، ص 49.

واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"[1]؛ وهذا يشير أن القوة لا ترجع إلى المادة والوسائل بل تتحقق بالقوة والعزيمة والثقة بالله وبالنفس

المبحث الرابع: نقد المنهج الإصلاحي عند بن باديس.

إن مشروع بن باديس يمكن أن ندرجه إلى جانب المفكرين العرب الذين نظروا للمجتمع العربي من أجل الخروج من المأزق الذي يعيش فيه وفق منطلقات كل مفكر سوى كان علمانيا أو سلفيا أو رابطا بينهما، فقد كان بن باديس ممثلا لتيار السلفي الذي عالج إشكالية الإصلاح وفق القرآن والسنة والعقل.

إن منهج بن باديس هو منهج كفاح وتجديد وإصلاح فمن خلال هذه الأفكار فإن منهج بن باديس هو شامل لتعاليم الدين الإسلامي من خلال الأخلاق والتربية والعلوم الشرعية والنقلية فمن خلال هاته النظرة كان مكرس حياته من أجل نشر التعاليم الدينية وكان أيضا همه الوحيد تكوين رجال صالحين.

إن المنهج الإصلاحي عند بن باديس منهج قائم بذاته إلى جانب المناهج التي ظهرت في البيئة العربية له رؤية موسعة في جانب الإصلاح ففي ميدان العقل دعا إلى الإيمان الصحيح ونبذ التقليد الأعمى وأهاب بالعقل أن يستيقظ ويهتدي بالعلم والمعرفة، كما حارب رواسب الانحطاط، وفي ميدان الأخلاق دعا إلى إحياء القيم الأخلاقية المرتبطة بتقوى الله تعالى ونفع الإنسانية ورسم خطة قويمة تسير عليها الأمة في حياتها وكان هذا من أجل التوعية والتهذيب والتربية وإعداد الإنسان خير إعداد

[1]) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 249.

للحياة من سعادة في الدنيا والآخرة[1]. إن بن باديس رغم محاولة معالجة قضايا الأمة وإصلاحها من النقائص التي جعلت المجتمع يعيش حالة من الضوضاء والفوضى في جميع المجالات، إلا أن هناك من اعتبر نشاط بن باديس في التربية أنها كانت تنشر تعاليم منافية للعلم وكان الهدف منها هو نشر الحقد بين المجتمع حتى تصبح الحياة تعيش في صراعات إيديولوجية ذات طابع تكفيري كل من إحداهما يكفر الأخر وقد جاء هذا النقد من أحد أعضاء الجمعية غراب معمر يقول:" **إن هاته الجمعية التي يرئسها عبد الحميد بن باديس وأعضاؤها معه الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي والميلي، فإن هاته الجمعية زعمت أنها جمعية تربية وتثقيف لأولاد المسلمين فمساعدتها الحكومة أولا ورضخت لشرف هذا المقصد الموهوم فما لبثت أن تطورت هذه الجمعية وتدخلت في شؤون لا علاقة لها بالتعليم وانفجرت بتعاليم منافية ومثيرة للإحتقاد والتحزبات ثم أخذت في دس ونصب الحيل لجلب الأموال من جهة ولنشر الشحناء من جهة أخرى**"[2]. إن هذا الاتجاه يعتقد أن بن باديس كان وراء منهجه غايات وأهداف وغايات ومقاصد منافية لتعاليم الدين وهي نشر البغض بين المجتمع الواحد المسلم حتى اعتبر أن سبب الفتن التي لحقت بالوطن العربي الإسلامي تعود إلى جمعية علماء المسلمين التي أصبحت ذات طابع تكفيري ويقول في ذات السياق " **ليس لنا بحاجة لنا بهذه الجمعية التي أخذت على كهلها نشر المذهب الوهابي فنحن أولا مالكيون ...والأمة الإسلامية**

[1]) محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص ص 20 22.
[2]) غراب معمر، الشريعة النبوية المحمدية، العدد5، 14 أوت 1933، ص5.

متمتعة بدينها وبحريتها ودينها وعاكفة على دروس علمائها ولم تحدث فيها هذه الغوغاء ولا ثارت فيها فتنة عمياء مثل هذه الفتن "[1].

إن من بين الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى عبد الحميد بن باديس الذي كان حاقدا على الطرق الصوفية، يوجد دور قامت به بعض الزوايا لا يمكن تجاهله وهي تعليم القرآن إن الزوايا كانت تسعى إلى احياء الموروث الديني لدي الطلبة الجزائريين، كما يجب أن نشير إلى الدور الذي قام به الأمير عبد القادر في مقاومة الاستعمار الذي كانت له مواقف تحسب له ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد أثير جدل إعلامي مؤخرا حول دور الجمعية الإصلاحي، فأشار أحد الإعلاميين إلى أن تأسيس الجمعية كان من التيار الأقرب إلى الإدارة الفرنسية وهو التيار المستقل[2]. رغم علمنا بذلك الخلاف العائلي بين بن باديس ووالده الموظف عند السلطات الفرنسية.

[1]) غراب معمر، مرجع سابق، الصفحة 5.
[2]) حميدة عياشي، جريدة الحوار 2017/04/21.elihwardz.com.

خاتمة

إن ما يمكن أن نستخلصه من خلال البحث هو أن بن باديس حاول أن يعالج قضية الإصلاح والنهضة العربية والجزائرية وفق رؤية ومرجعية محكمة تستند في مبادئها إلى مرجعية دينية، وهاته المرجعية حاول أن يعالج من خلالها إصلاح المجتمع والفرد، فالتربية والأخلاق التي عالجها بن باديس كلها مستندة إلى الجانب الروحي، إن الحياة لكي تنهض يجب أن تستقيم روحيا ثم ماديا. لأن ما ينطبق علينا في الحياة قد لا ينطبق على العالم الغربي، حتى وإن كان متقدما في جميع نواحي الحياة.

إن النهضة عند بن باديس تنطلق من المحافظة على الدين، ومن خلاله ينفتح الإنسان على الآخر في جميع المجالات،

كما أن الحرية التي يكتسبها الإنسان أمر ضروري في الحياة الإنسانية، لكي تتحقق الحرية يجب عليه التحرر من قيود الذاتية والخارجية.

وهذا ما كان يركز عليه بن باديس خلال حياته رغم ما كان ما يعيشه من مضايقات قللت من نشاطه التنويري.

كما أن نشاط بن باديس هو امتداد للحركات الإصلاحية التي ظهرت في الوسط العربي التي كانت على يد محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبد الوهاب، فكانت رؤية بن باديس لا

تختلف كثيرا عن هذه الأفكار التي رسمها هؤلاء المفكرون من أجل معالجة إشكالية الإصلاح في الوطن العربي، فمن خلال كل هذا حاول أن يحدد معالم الوطن المواطنة التي يمكن أن يعيش بها الفرد داخل وطنه من جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية.

إن النهضة التي يسعى الى تحقيها الانسان تنطلق من الذات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المصادر:

1. عبد الحميد بن باديس، السنة، العدد من1الى 13، العدد الأول، دار الغرب الإسلامي، د م، د ط ،1933.
2. عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، 1983.
3. عبد الحميد بن باديس، الآثار، الجزء الأول، المجلد الثاني، تحقيق عمار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968.
4. عبد الحميد بن باديس، البصائر، العدد الثالث، 10 ديسمبر1937، العدد الأول 27 ديسمبر 1935.
5. عبد الحميد بن باديس، الشريعة النبوية المحمدية، العدد الأول، 17جويلية 1933.
6. عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج11 م12، ج10، م12، ج8 م11، ج8 م 12، ج12 م12، ج3 ، م14،ج 7، م 14.
7. عبد الحميد بن باديس، كتاب الآثار، تحقيق عمار طالبي، مجلد 1، الشركة الجزائرية، ط1، د ت.

8. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1982.

ثانيا: قائمة المراجع:

1. إبراهيم نواري، أصول التربية والتعليم عند جمعية علماء المسلمين، مذكرة تخرج غير مشورة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة بوزريعة، 2014-2015.

2. أحمد أمين، زعماء التيار الإصلاحي في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت.

3. إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1996.

4. أنور الجندي، التربية الإسلامية في الإطار الحقيقي للتعلم، دار الأنصار، لبنان، دط، د ت.

5. بسام العسلي، عبد الحميد ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، د ط،1983.

6. البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الرابع (1952-1954)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، د ت.

7. البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي (1929-1940)، ج 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

8. البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة جمعية علماء المسلمين، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط 1، 2008.

9. تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، ط3، 2003.

10. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 4، د ت.

11. تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية، د م، د ط، 1982.

12. حماد يحي صالح العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية، شبكة العلوم النفسية العربية، د م، د ط،2013.

13. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية بالجزائر 1830-1871م، دار حلب، دم، د ط، د ت.

14. راشد الغنوشي، محاضرة بعنوان تأملات في الدين والسياسة، 22أكتوبر 2010 .

15. الطاهر عمري، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية ق20 إلى مابين ح ع 1 و2، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 2009.

16. عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله، نهضة مصر للطباعة والنشر، د م، د ط، د ت.

17. عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، بيروت، ط3، 2006.

18. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، د ط، 2010.

19. على الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ط1، 2006 .

20. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1987.

21. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، ط1،1987.

22. ماسنيون ومصطفي عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، د م، ط1، 1984.

23. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، د ط، 1982.

24. محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، د ط، 1983.

25. محمد الطاهر وعلي ،التعليم التبشيري في الجزائر، 1830 إلى 1904، دار حلب، الجزائر، د ط، 2009.

26. محمد الغزالي وآخرون، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، د م، د ط، د ت.

27. مصطفي حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، د ط ،1997.

المعاجم والموسوعات:

1.ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان ط3، مجلد 13، 1994.

2.جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دط، 1982.

3.جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، د ت.

المجلات والدوريات:

1.بوعلام بسايح، الثقافة الإفريقية طموحات و متطلبات، مجلة الثقافة، العدد96، ديسمبر1996

2.حميدة عياشي، جريدة الحوار elihwardz.com.2017/04/21.

3.رياض الصيداوي، لماذا تخلفت جمعية العلماء وبقية الأحزاب من مساندة الثورة، الحوار المتمدن، العدد 14-07-2008.

4.عمر بن البسكري، الشهاب، م15 ، ج5.

5.غراب معمر، الشريعة النبوية المحمدية، العدد5 ، 14 أوت 1933.

6.مبارك الميلي، الشريعة النبوية المحمدية، العدد الثاني، 24 جويلية 1933.

7.مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد إبن باديس، مجلة البيان، الرياض، 1435هـ، د ط، د ت.

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....أ- د

الفصل الأول: مدخل تمهيدي 5- 20

المبحث الأول : حياته.....5- 10

المبحث الثاني: مصادر فكره..... 11- 14

المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي في عصره.....14- 20

الفصل الثاني: إصلاح الفرد عند بن باديس.....21- 41

المبحث الأول: التربية في بناء الفرد.....22- 31

المبحث الثاني: الأخلاق عند بن باديس.....32- 37

المبحث الثالث: نظرته الاستشرافية للفرد.....38- 41

الفصل الثالث: إصلاح المجتمع عند بن باديس.....42- 63

المبحث الأول: مقومات الهوية الوطنية في الفكر الباديسي.....43- 51

المبحث الثاني: نظرة بن باديس للعقيدة.....52-57

المبحث الثالث: موقفة من الاستعمار.....58- 61

المبحث الرابع: نقد المنهج الإصلاحي عند بن باديس..... 61- 63

خاتمة.....64- 66

قائمة المصادر والمراجع.....67- 72

الفهرس.....74

ملخص الدراسة:

حاولنا في هذه الدراسة المعنونة بالنقد الاجتماعي عند عبد الحميد بن باديس أن أركز اهتمامي على الإصلاح الاجتماعي الذي قدمه في الجزائر خاصة، والذي يعتبر من أهم المشاريع في الفكر العربي ألا وهو مشروع عبد الحميد بن باديس الذي ارتكز نقده على الجانب الاجتماعي والتربوي والأخلاقي، بحيث كان هدف بن باديس بناء مجتمع ذو قيم ومبادئ إسلامية أصيلة منبعها القرآن والسنة.

Résumé:

J'ai essayé dans cette en étude titulée Le critique social de Abdelhamid ben Badis, de préciser mon attention sur l'amélioration de comportement social qui a donné pour l'Algérie, et qui était considéré parmi les plus importants projets de critique. Il a basé sur le coté social, tel que Abdelhamid Ben Badis a été élevé dans un entourage fondé sur des principes Islamiques de Coran et de Sounna.